الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليـــم العالي والبـــحث العـــلمي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة 8 مـــاي1945 قالمة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA

Faculté des Lettres et des Langues

Département de Langues et Littérature Arabe

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــــــــــــــــــــــــــــــر

(تخصص:تحليل الخطاب)

كيمياءُ الخيال وإبداعُ الخياليِّ في الشعر العربي

(الرعدُ الجريحُ لخليل حاوي نموذجا)

مقاربة معرفية في تحليل الخطاب

إعداد الطالبة :

حياة صوادقية

إشراف الدكتور :

السعيد مومني

تاريخ المناقشة: 2016/06/21

أعضاء لجنة المناقشة :

عبد الحليم مخالفة	رئيسا اللجنة	الرتبة	(أستاذ مساعد أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
السعيد مومني	مشرفا و مقررا	الرتبة	(أستاذ محاضر ب)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
بشرى الشمالي	ممتحنة	الرتبة	(أستاذة مساعدة أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية :2016/2015

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليـــم العالي والبـــحث العـــلمي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة 8 مـــاي1945 قالمة

UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA

كلية الآداب واللغات

Faculté des Lettres et des Langues

قسم اللغة والأدب العربي

Département de Langues et Littérature Arabe

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــــــــــــــــــــــــــــــر

(تخصص:تحليل الخطاب)

كيمياءُ الخيال وإبداعُ الخياليِّ في الشعر العربي

(الرعدُ الجريحُ لخليل حاوي نموذجا)

مقاربة معرفية في تحليل الخطاب

إعداد الطالبة :

حياة صوادقية

إشراف الدكتور :

السعيد مومني

تاريخ المناقشة:**2016/06/21**

أعضاء لجنة المناقشة :

عبد الحليم مخالفة	رئيسا اللجنة	الرتبة	(أستاذ مساعد أ)	جامعة 8 ماي **1945** قالمة
السعيد مومني	مشرفا و مقررا	الرتبة	(أستاذ محاضر ب)	جامعة 8 ماي **1945** قالمة
بشرى الشمالي	ممتحنة	الرتبة	(أستاذة مساعدة أ)	جامعة 8 ماي **1945** قالمة

السنة الجامعية :**2016/2015**

شكر وعرفان

إن الشكر لله وحده لا شريك له .وإذا كان من كمال الفضل شكر ذويه ،

فإنني أرفع إلى أستاذي السعيد مومني أسمى آيات الشكر و التقدير على

العناية الفائقة و الجهد الكبير الذي بذله معي في قراءة المذكرة و تعديل

جوانبها وتهذيب فصولها بما أسداه إلي من ملاحظات دقيقة و إشارات

صائبة . كما أشكر أساتذتي الكرام أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبدوا

عناء قراءة هذا البحث المتواضع وسيثرونه إن شاء الله بنصائحهم القويمة و

توجيهاتهم السديدة ..

حياة

الخطة

الخطة

المقدمة

الفصل الأول : في المفاهيم الإجرائية .

1 ــ في كيمياء الطبيعة .

2 ــ في الخيال .

3 ــ في كيمياء الخيال .

4 ــ في الخياليّ .

5 ــ في الإبداع و مراحله : التأسيس ــ الإنتاج ــ الإخراج .

الفصل الثاني : فاعليات كيمياء الخيال في إبداع الرعد الجريح .

1 ــ فاعلية العدم .

2 – فاعلية الإمكان .

3 ــ فاعلية الاختلاف .

4 ــ فاعلية التفاعل .

5 ــ فاعلية الصهر .

6 ــ فاعلية المزج .

7 ــ فاعلية التحويل .

8 ــ فاعلية التشكيل .

الفصل الثالث : كيمياء الخيال و خصائص الرعد الجريح .

1 ــ الإبداعية .

2 ــ الوَحْدَة .

3 الجِدّة .

4 ــ الجمال .

5 ــ الخلود .

الفصل الرابع : كيمياء الخيال و دلالات الرعد الجريح .

1 ــ الدلالة الثورية .

2 ــ الدلالة السياسية .

3 ــ الدلالة الاجتماعية .

4 ــ الدلالة الحضارية .

5- الدلالة الإنسانية .

6 ــ الدلالة الوجودية .

الخاتمة .

" إذا نحن استعملنا ضمير الجمع بدل ضمير المفرد في كتاباتنا فلأن هذا الاستعمال تقليد عربي أصيل في صيغة من صيغ المتكلم في الكلام ، ثم لأنه الاستعمال المتعارف عليه في المقـــــــال العلمي و التأليف الأكاديمي ، فضلا عن أنه يفيد معنى 'المشاركة' و' القرب' ،إذ يجعل المتكلم ناطقا باسمه وباسم غيره ، ... فيكون ضمير الجمع ، من هذه الجهـــــة ، أبلغ في الدلالة على التأدب و التواضع من صيغة المفرد ، و لا دلالة له إطلاقا على تعظيم الذات ولا على الإعجاب بالنفس ".

طه عبد الرحمن ،اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1998، ص: 13.

مقدمة

المقدمة :

يُعدُّ الشعر أكثر الأجناس الأدبية قراءة للواقع بكل تفاصيله ، كونه لازم الإنسان منذ بدايات حضارته ، و حوى همومه ممَّا جعله محملاً الدلالات النابعة من النفس و الشعور .

الشعر بهذا المعنى يعبر عما هو موجود في الواقع العينيِّ و يتجاوزه بالخيال إلى ما يمكن أن يكون ، فبه يُوجد الخياليُّ بِدْعاً لا مثال له إلاّ هو ذاته ، ليصبح الشعر رؤيا ، و قولنا بأن الشعر رؤيا يحيلنا على رؤيا شاعر لطالما كان صوته خدمة للأمة العربية ، محاولة منه لتحقيق حلم الانبعاث العربي ، إنه خليل حاوي الذي جاء بطله الخياليَّ " الرعدُ الجريحُ" ملبياً هذا النداءَ ، إلاّ أنه تعرض للخيانة التي أعاقت مشروعه الحضاري .

ومن أجل تحديد مفهوم الخيال و فاعلياته الكيميائية استقر اختيارنا على قصيدة " الرعدُ الجريحُ" ويكون بحثنا موسوماً بـــ " كيمياء الخيال و إبداع الخياليّ في الشعر ـــ الرعد الجريح نموذجاً ـــ " .

إن اختيارنا لهذا الموضوع في بادئ الأمر لم يكن من قبيل الصدفة ،بل كان وفقاً لتفكير مسبق أدركنا من خلاله أهمية الموضوع و قيمته العلمية .

كما يرجع السبب في اختيارنا لهذا الموضوع بالذّات لجدته و طرافته .

أما بخصوص اختيارنا القصيدة ، لأنها تعبر عن قضية متعلقة جوهرية متعلقة بضرورة انبعاث الأمة العربية ، فهي قصيدة تواجه الضمائر العربية و أصحاب القرار .

و أما السبب الآخر فهو أن القصيدة الصوت المدوي و الثائر باسم الفدائي الفلسطيني ، و الكل يعرف عِزَّة فلسطين في قلوب العرب جميعاً ، و نحن منهم .

و قد اعتمدنا في مقاربة هذا العمل الفني على المنهج الوصفي التحليلي .

و الحقيقة أن الأستاذ المشرف هو من شجعنا على اختيار هذا العمل ، و زادتنا طبيعة القصيدة إسراراً عليه كونها تحكي القضية الفلسطينية ، وهي قضية كل غيور على عروبته ، و على بيت المقدس

وقد اعتمدنا على جملة من المصادر و المراجع التي تحدث عن الخيال ملكة إبداع ، ومن أهم المصادر ديوان " خليل حاوي " " الرعدُ الجريحُ " كما اعتمدنا على مرجع أهمها : "خليل حاوي في سيرته وشعره "لـــ "إيليا حاوي" ،و" الخيال مفهوماته و وظائفه" لـــ "عاطـــــــف جوده نصر " و "الخيال في الفلسفة و المسرح " لـــ "علي هادي الربيعي " ، و " المتعة الأخيرة "لـــ "وليد إخلاصي " أضف إلى ذلك مقال الأستاذ" السعيد مومني الموسوم بـــ " الإبداع الأدبي بين جمالية التلقـــــي و كيمياء الخيال في الخطاب النقدي الأدبي " .

و قد اقتضى بحثنا تقسيمه إلى أربعة فصول تسبقهما مقدمة و تتلوهما خاتمة .

أما الفصل الأول فنظري و عنوناه بـــ " في المفاهيم الإجرائية " تعرضنا من خلاله إلى موازنة بين كيمياء الطبيعة و كيمياء الخيال ، والخيال ، وإلى الخياليّ والإبداع و مراحله .

أما الفصل الثاني والذي عنوناه بـــ " فاعليات كيمياء الخيال في إبداع الرعد الجريح " فمازجنا فيه بين النظري و التطبيقي ، و قد تضمن تطبيق فاعليات كيمياء الخيال الثماني على الخياليّ " الرعدُ الجريحُ ".

وأما الفصل الثالث فعنوناه بـــ " كيمياء الخيال و خصائص الرعد الجريح " سعينا من خلاله إلى بيان أن الرعد الجريح خياليٌّ تميز بجملة من الخصائص .

وأما الفصل الرابع و الأخير فقد كان معنوناً بـــ "كيمياء الخيال و دلالات الرعد الجريح " حاولنا من خلاله الوقوف على بعض الدلالات التي يُوحي بها الرعدُ الجريحُ ، وقد خلصنا من هذا الفصل إلى أن الخياليّ الرعد الجريح مشبعٌ بالدلالات ، الأمر الذي جعله بِدْعاً على غير مثال سابق .

و أنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصلنا إليها .

و قد واجهتنا ككل باحث صعوبات منها : ضيق الوقت و قلة المراجع المتعلقة بالموضوع ، إلاّ أننا تجاوزناها بفضل الله و عونُه .

و لا يسعنا في الأخير إلاّ أن نرجو من المولى عزَّ وجلَّ التوفيق لهذا البحث باعتباره من طالبة علم قد تكون متعثرة في خطواتها الأولى بيد أنها ترجو تطوير خطواتها في قابل أيامها . كما لا يسعنا إلاّ أن نتقدم بأسمى آيات الشكر و العرفان إلى الأستاذ المشرف "السعيد مومني "على صبره معنا و قبوله قراءة مذكرتنا ، و تعديل جوانبها و تهذيب فصولها .

الفصل الأول

مفاهيمٌ إجرائيةٌ

1- في كيمياء الطبيعة :

مظاهر الطبيعة صورة من صور الخلق الإلهيّ ، فهي تتداخلُ وتتفاعُل فيما بينها من الداخل بفعل كيمياء الطبيعة ، حيث تقوم هذه الأخيرة بتحويل عناصرَ الطبيعة فتغيرها من حال إلى حال ، لتشكل منها أجسادًا جديدةً .

وقبل الشروع في الحديث عن كيمياءَ الطبيعةِ لابد من التطرق لمفهوم الكيمياء ،فما هي الكيمياءُ ؟

وردت لفظة الكيمياء بمعنى : " علم يُبحث فيه عن خواص العناصر المادية والقوانينَ التي تخضع لها في الظروف المختلفة وبخاصةٍ عند اتحادها بعضها ببعض : [التركيبُ]أو تخليص بعضها من بعض [التحليلُ] ، والتفاعل الكيميائي أن تؤثر مادة في مادةٍ أخرى فتغيير تركيبها الكيميائي [1]"

والمتأمل في تعريف الكيمياء في المعجم الوسيط يخلص إلى وجود قانونينِ طبيعيينِ يحكمان الكيمياءَ الطبيعيةَ هما قانونيّ : التركيبُ والتحليلُ ، إذ يتصرفان في مادة الطبيعة ، فيفاعلان بفعلٍ كيميائيٍ تكون بعده مادةً طبيعيةً جديدةً.

من هنا نخلص إلى أن كيمياء الطبيعة تأخذ مادتها من الطبيعة إذ هي " علم يُبحث فيه عن خواص الأجسام وتغيرات بناها الداخليةِ بتأثير العواملَ الطبيعية [2]".وهي أيضا : "علم الظواهر الفيزيائيةِ التي تتغير بها البنيةُ النوعيةُ للأجسام ".[3]

وهكذا تتضح حقيقة كيمياء الطبيعة في المعاجم القديمة والحديثة ، حيث تتصرف في عناصر الطبيعة من الداخل ، فتجعلها مركباً جديداً مغايراً تماماً عن مادتها الأولى ، كما أنها تتفاعلُ مع

---

[1] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ،ط 4 ، 2004، ص : 808.

[2] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2 ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، لبنان ، (د. ط)، 1982، ص : 254

[3] محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2008، ص : 129.

ظواهر الطبيعة لا غير ، وبما أنها تحلِّلُ وتحوِّلُ وتركب العناصر داخليا ، لتصنع منها وَحْدة متجانسة ، فإنها مستعصية على الملاحظة بالعين المجردة ، ذلك أن كيمياء الطبيعة توصف بأنها جوانيه.[1]

ومن العناصر الطبيعية التي تعمل الكيمياء الطبيعية على التصرف فيها تحليلا،و تحويلا ، فتشكيلا ، الماء فقبل أن يكون وَحْدة متجانسةً كان عبارة عن ذرتين هما : الأكسجين والهيدروجين ، وبالتفاعلِ الكيميائي وُجد الماءُ .[2]

فإذا كانت هناك فاعليات كيميائية تحكم مظاهر الطبيعة فتحوِّل مادتها من حال إلى حال بفعل كيمياء الطبيعة ، فهل هناك فاعليات كيميائية تحكم الظاهرة الإبداعية ؟ .

2- في الخيال :

الخيال ملكة من الملكات الكثيرة التي زود الله عزَّ وجلَّ بها عباده ، فهو نشاط ذهنيٌ خلاقٌ ، ذو أهمية قصوى في حياة الإنسانية جمعاء غير أنَّه موزع بينهم بنسبٍ متفاوتة ليكون منهم : الأناس العاديون والمبدعون وهذا ما يظهر في قول بودلير حيث يعتبره الصفة التي يتميز بها الفنان .[3]

ومن طبيعة النفس الإنسانية الاختلاف والتفاوت في القدرات .فمنها من يحسن استغلاله ويطوره فيجعله يقوم بوظيفته الأسمى وهي الإبداعُ ، ومنهم من يكتفي به مجرَّد ملكة إنسانية نفسية فحسب . غير أن هذا ليس حقيقة الخيال ، إنه ملكة إبداع الخياليات على غير مثالٍ سابقٍ والتي هي نموذج ذاتها و للخيال تاريخ طويل في المعرفة الإنسانية ؛ منها العربية ، وإن كان في الثقافة العربية الإسلامية لم يعرف التأصيلَ والتأطيرَ المنهجيَ كما هو الحال في نظيرتها الأوربية مع أشهر أعلامها في الخيال

---

[1] محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، م.س ، ص : 129.

[2] المكتبة الكاثوليكية ، المنجد في اللغة و الأعلام ، دار الشروق ، بيروت ،لبنان ، ط31، (د.ت) ص :588، 589 .

[3] على محمد هادي الربيعي ، الخيال في الفلسفة و الأدب و المسرح ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ،الأردن ، ط 1 ، 2012، ص: 11.

وللثقافة الإسلامية رواد يلوح في الأفق صيتهم على "رأسهم مُحيِّ الدين ابن عربي" ، فهو صاحب نظرية متكاملة ومتأصلة في الخيال ، يولي ملكة َالخيالِ دورًا مهما فيقول في فصوص الحكم : "الوجودُ كله خيال في خيال [1]".ويضيف بأنها أعظم ما أوجدته قدرة الخالق "فليس للقدرة الإلهية فيما أوجدته أعظم وجودًا من الخيال [2]".

كما أنه يستحيل أن يكون الخيالُ مصدرًا للفساد والخطأ،ومن قال بفساده فلا معرفة له مطلقا[3]، فهو بهذا يقرُّ بأنه أساس الحقيقة ، وبتصوره الفلسفي الصوفي فيما يخص الخيال يدحض كل النظريات التي سفهته ونفت عنه الإبداعيّةَ ، كنظرية شيطان الشعر عند العرب ،[4] ونظرية ربات الشعر عند اليونان.[5]

و الخيال حاضر مع البشر في كل لحظةٍ من لحظاتٍ حياتهم ،فهم يتدبرون في الكون ويتساءلون وفي تساؤلهم تخيُّل ، فبحث الإنسان يجعله يفكر ويتساءل ، فلولا الخيال لما أمر النبي (ص) أحدا أن يعبد الله كأنه يراه ، لأن رؤية الله بحاسة البصر لا جدوى منها ، ولكنها تتحقق بعين الخيال .[6]

وبهذا فالخيال نشاط ذهني مستمر باستمرار الوجودِ ، كما أنَّه غاية منشودة في سبيل التطورِ والنماءِ ، فهو "نشاط واحد حيّ له تحققاته ووظائفه في المعرفة والفنِ على السواء ".[7]

---

[1] محيي الدين بن عربي ،فصوص الحكم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، (د. ط)،(د.ت)، ص: 104.

[2] ساعد خميسي ، نظرية المعرفة عند ابن عربي ، دار الفجر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2001 ، ص: 83.

[3] محمود محمود العراب ، الخيال عالم البرزخ و المثال ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، سورية ، ط 3 ، 1993، ص :34.

[4] الجاحظ ، الحيوان ، تح . محمد باسل ج .3 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2002 ، ص : 425

[5] شكري عزيز ماضي ، في نظرية الأدب ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005، ص : 49.

-شاكر عبد الحميد ، الأسس النفسية للإبداع الأدبي ، في القصة القصيرة خاصة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، (د. ط)، 1992 ، ص : 107.

[6] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط3، 1992، ص : 49.

[7] عاطف جودة نصر ، الخيال مفهوماته ووظائفه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (د. ط)،1984 ، ص : 161.

إن الحديث عن الخيالِ ملكة مبدعة ليس بالسهولة بمكانٍ فهو يبرز إلى العيان بتحقيقه الأثر المرجو منه والمتمثل في إبداعِ الخياليِّ .أما في تاريخ الثقافة الأوربية فقد برزت نظريةُ الخيالِ متأصلةً ، إذ عَرف أعظم تحول في مفهومه بفضل الفيلسوف الألماني "كانط "، فالخيال عنده أجلُّ قُوى الإنسان ولا غنى لأيِّ قوة أخرى عنه ،[1] حيث يعتبره ملكةً تتصرف بالحدوس ،[2] يبث الحياة في الجمادات ويجمع بين المتناقضات ، وعملية التصرفِ هذه تقتضي الجِدَّة والإبداعيّة ، لينتج خياليا مؤثرًا في متقبله يدخله لحظة التأمل إلى إنتاج إبداعيٍّ ثانٍ .

وهكذا فالخيال ضرورة أساسية وهامة في جميع عملياتِ المعرفة ،[3] حتى غدا عنصرا يسهم إسهاماً أصيلاً في تكوين العالم .[4]

إن رؤية كانط في الخيال ، هذه الملكةَ بلورت أثراً عظيما عند الفيلسوف الرومنْسي " كولريدج" الذي قيل بأن ما وصل إليه في الخيال لم يزد عليه أحد إلّا على سبيل الشرح .[5]

ويبدو أنَّكولريدج متأثر بأطروحة مُحييِّ الدين ابن عربي في الخيال ، إذ قسمه مثله إلى قسمين إذ يقول : "إنني أعتبر الخيال إذن إما أولياً أو ثانوياً ،فالخيال الأولىُّ هو في رأي القوة الحيوية أو الأولية التي تجعل الإدراك الإنساني ممكنا ،هو تكرار في العقل المتناهي لعملية الخلق الخالدةِ في الأنا المطلق ، وأما الخيال الثانويُّ فهو في عرفي صدىً للخيال الأوليِّ في نوع الوظيفة التي يؤديها ،ولكنه يختلف عنه في الدرجة وفي طريقة نشاطه ،إنه يُذيب ويُلاشي ويُحطم لكي يَخلق من جديد ،

---

[1] محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، (د . ط) ،1997 ، ص : 410 ، 411 .

[2] شاكر عبد الحميد ، الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي ، علم المعرفة ، مصر ، (د .ط)، (د .ت) ،ص : 72.

[3] علي هادى الربيعي ، الخيال في الفلسفة والأدب و المسرح ، م .س ، ص : 29 .

[4] م . ن ، ص : 28 .

[5] إحسان عباس ، فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، ص : 150 .

وحينما لا تنسى له هذه العملية فإنه على الأقل يسعى إلى إيجاد الوَحْدَة وإلى تحويل الواقع إلى مثالي ، إنه في جوهره حيويّ بينما الموضوعات التي يعمل بها ، في جوهرها ثابتة لا حياة فيها ".[1]

وبهذا فقد عُني كولريدج مثل كل مفكر بالخيال الثانوي ،مُنْتجَ الخياليات ، فهو كما قال ابن عربي : "يَدْمج ويُوَحدُ، ويَفري ويَخْلقُ ويَهْدمُ ويَبْني ، ويُفَككُ ويُرَكب إنَّه يذهب بخلق ويأتي بخلق جديد ".[2]

كما ركَّز على الدور الفعال الذي يلعبه في إنتاج الخياليِّ انطلاقا من فاعلياتٍ كيميائية ، فيذيب ويلاشي ويحطّم لخلق تلك الوَحْدةَ الخياليةَ .

إن تعظيم كولريدج للخيال الثانوي ؛إذ جعله أعظم شأنا وسلطانا من الأوليِّ ،باعتباره يرقى على كل محاكاة أو تقليد و نقل صور الواقع كما هي . فهو انتقائي لا يأخذ مادته جاهزةً من الطبيعة ، بل يتصرف فيها بسحره وبوظائفه ، بإرادةٍ ووعيٍ ، فيحوِّل الواقعيَ إلى إبداعيٍ مثاليٍ.[3]

ونظرة الرومنْسي كولريدج في الخيال شاملة و أعمُّ، فقد تجاوز الفصلَ بين نوعي الخيال ، إلى الفصل بينه وبين الوهم ، الذي لطالما خُلط بينهما "إذ الوهمُ يجمع بين جزيئات باردة،منفصلة الواحدةَ منها عن الأخرى، في حين الخيال عدَّه قوة تركيبية سحرية"[4]. وسحر الخيال يبرز في أثره المتفرد في المتلقي موصله إلى نوع من الحقيقة النسبية ، على عكس الوهمِ الذي لطالما ضلَّل الإنسان وحجب عنه تلك الحقيقة.

---

[1] شكري عزيز ماضي ، الخيال مفهوماته و وظائفه ، م .س ، ص : 49.

[2] عاطف جوده نصر الخيال مفهوماته و وظائفه ، م . س ، ص : 282 .

[3] خليل موسى ، جماليات الشعرية ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، سورية ، (د . ط)، 2008 ، ص : 144 ، 145.

[4] شكري عزيز ماضي ، في نظرية الأدب ، م .س ، ص : 51 .

يظهر علم آخر من أعلام الخيال هو الفيلسوف " غاستونباشلار " إذ تقوم فلسفة في الخيال على مبدأ المادة ومبدأ الإرادة .[1]

ومبدأ المادة باعتباره مصدرا للإبداعِ ،هو تلك المحسوسات المادية التي يتصرف فيها خيال إنساني بفعاليات خيالية كيميائية ، فيشكل منها خياليا متفردا ، وخاصا منها : الرعدُ الجريحُ ، فهو خياليٌّ غريب غامض ، لا هو الرعدُ ولا هو الحيُّ المجرحُ ، إ نما انبثق من مزيج منها ،فكان بِدْعا على غير مثال سابق ، وفق فاعلياتٍ كيميائيةٍ،عَدْما ،وصهرا ،ومزجا ، وتحيلا فتشكيلا ، وهو يَمْتَحُ بمدٍ من الدلالات لا تنتهي بالتخييل مثل :إنه يوحي بالخيانة العربية للبطل العربي في حرب 1973 المجيدة بَهذا فإن "غاستونباشلار" يؤكد مثلما أكد فلاسفة قبله بأن مادة الخياليِّ هي الحسيُّ المُجرَّد ،فالخيالُ لا يشتغل خارج الذي جُرِّد في الذهن .

أما مبدأ الإرادة، فهو فعل متعلق بالشاعر لحظة الإبداع، فهو يبدع بوعي و إرادة ، والحال ذاته عند المتلقي، من هنا ينشط الخيال عند قطبي العملية الإبداعيّة بوعي وإرادة.

يتبَّيَّن من نشاط الخيال أن له فاعليات تشبه فاعليات كيمياء الطبيعة ،مكنت المهتمين به من صوْغ مفهوم كيمياء الخيال . فما هي كيمياء الخيال ؟.

[1]على محمد هادي الربيعي ، الخيال في الفلسفة و الأدب و المسرح ،م . س ، ص : 51 .

3- في كيمياء الخيال :

إذا كانت كيمياء الطبيعة تتصرف في عناصر الطبيعة فتحوِّل مادتها إلى مادة مغايرةً تماما عن مادتها الأولى ، فإن كيمياء الخيال تبدع خياليات كانت معدوماتٍ فترجع مادتها الخيالية إلى هَيُولى* .

والمتأمل في أطاريح الفن يرصد تيارا معرفيا يُعني بفهمه المعرفةَ الإنسانيةَ ومنها الإبداعُ الأدبيُ فهماً كيميائيا ،فكيمياءُ الخيال تنشط بفاعلياتها العديدة لتبدع منها أجساما مختلفة بسيطةَ التركيبِ ومعقدته ولا يكون هذا الفعل : " إلاّ بتدخل قُوى الإنسان المدركة والمتخيِّلة التي لها طاقة تحويلية هائلة ".[1]

ولقد تفطن عبد القاهر الجرجاني إلى فعل هذه الكيمياء حين : "واعلم أن واضع الكلم مثل من يأخذ قطعا من الذهب والفضة فيذيبُ بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة" [2]. فعبد القاهر الجرجاني يؤكد فاعليات كيمياء الخيال حين قال عن الشعر : "يصنع من المادة الخسيسة بِدْعا يغلو في القيمة ويعلو ، ويفعل في قلب الجواهر وتبديل الطابع ، ما ترى الكيمياء وقد صحت ودعوى الإكسير وقد وضحت ، إلا أنها روحانية تتلبس بالأوهام والأفهام ، دون الأجسام والأجرام .[3]"

*الهيولى : [بضم الهاء مخففة أو مشددة] ، مادة الشيء التي يصنع منها ، عند القدماء مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة قابلة للتشكيل ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، م . س ، ص : 1004.

[1] حمادي صمود ، في نظرية الأدب عند العرب ، النادي الثقافي ، جدّة ، سورية ، ط 1، 1990، 20 .

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح .محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005 ، ص : 266

[3] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في العلم و البيان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988، ص :298 .

برصدنا كيمياء الخيال عند "عبد القاهر الجرجاني" يتجلى لنا موقفه بارزاً منها ،مؤكداً بقوله الأخيرَ نتاجها الإبداعي ،وفق عملية التحويل والإذابة لتحقيق الخياليَّ وَحْدةً مبدعةً على غير مثال ويبدو أنه الرجلُ الأولُ الذي فرق بين كيمياءَ الطبيعةِ وكيمياءَ الخيالِ .[1]

وهو ما أشار إليه "حازم القرطاجني" حين قال : "فالمعاني الذهنيةُ هي الصورُ الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكل شيء له وجود خارج الذهن ، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذانهم فصار للمعنى وجودًا آخر من جهة دلالة الألفاظ " .[2]

وبهذا يطلعنا حازم منذ زمن قديم ، على تلك الكيمياءُ الحاصلة في الذهن من قبل المنشئ لحظة الإبداعِ والمتلقي لحظة تلقيه ، فتكون كيمياء الخيال قدرة مشتركة بينهما .

كما يُعدُّ"عاطف جوده نصر" من الذين أدركوا نشاط كيمياء الخيال بقوله " إن المألوف والمعتاد يتحولان في الشعر بكيمياء الخيال المبدع إلى صورٍ تهيئ واقعا فنيا يختلف عن الواقع الخارجي ".[3]

ولعل غرض عاطف جودة نصر مـــــــن التركيز على الشعر بالخصوص كونه كمـــا يقول " بيكون " :"أهم الفنون التي يسودها الخيالُ".[4]

وفي تساؤل وليد إخلاصي تبلور لفكرة حيث يقول :" كيف تتحول الفكرة أو الومضة أو لربما الدهشة في الداخل وعبر عملية لابد أنها كيميائية ، كيف تتحول إلى نص مكتوب ؟".[5]

---

[1] السعيد مومني ، الإبداع الأدبي بين جمالية التلقي وكيمياء الخيال في الخطاب النقدي الأدبي(نحو بديل منهجي لفهم دورة الإبداع)، قسم اللغة و الأدب عربي جامعة 08 ماي 1945 ، 15 ـــــ16 أفريل 2013 ،ص : 11 .

[2] حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح . محمد بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، (د.ط)، (د. ت)، ص : 18 ، 19 .

[3] عاطف جوده نصر ، الخيال مفهوماته و وظائفه ، م . س ، ص : 246 .

[4] أميرة حلمي مطر ، مقدمة في علم الجمال و فلسفة الفن ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1989 ، ص : 148

[5] وليد إخلاصي، المتعة الأخيرة ، اعترافات شخصية في الأدب ،دار طلاس، دمشق،سورية، ط1 ، 1986 ،ص : 148 .

ثم يجيب إجابة كيميائيٍ حذقٍ" الفكرة كقطعة الخشب تحرقُ في الداخل لتخرج مادةً جديدةً هي التي يسمونها بالنص شعرا أمعملا روائيا أو مسرحيا أو غيره ".[1]ويؤكد على فعل كيمياء الخيال التي تحقق الفن باعتباره " عمليةَ إبداعٍ عضويٍ متداخلة ".[2]

ولا تتحقق كيمياءُ الخيال إلاَّ لصاحب خيالٍ واسعٍ قادر على التصرف بسحر وجمال ، فيصهر العناصرَ بعضها ببعض ، لتصبح لُحمة عبر هذه الكيمياء التي يصنعها " شاعر كيميائي " [3]ممتلكا لأسلوب العباقرة .

ولاصطلاح كيمياء الخيال تسميات مختلفة في الأوساط الأدبية والنقدية فهي عند "عبد القاهر الجرجاني، رولان بارت ، وجيلبيردوران ، وسليمان العطار ، وحسام الخطيب ، وخليل حاوي ، ورانية العرضاوي " الكيمياء" ، وعند إبراهيم مصطفى " كيمياء العقل " وعند وليـــــام ورد زورث" الكيمياء العقلية " وعند غاليم خوجة " كيمياء الحواس " وعند كمال أبوديب وإبراهيم الرماني " كيمياء اللغة " وعند نزار قباني ووليد اخلاصي " كيمياء الكتابة " ، وعند عبد الباسط لكراري "كيمياء النص" وعند أحمد درويش وأحمد حاطوم "كيمياء الشعر" وهي عند غاستونباشلار.وعند زكريا إبراهيم " كيمياء الفن" و عند وليد إخلاصي "كيمياء الإبداع " وعند إبراهيم رماني "كيمياء المعرفة " وعند عبد الباسط الكراري "كيمياء التخييِّل "وعند جورج لايكوف ومارك جرنسون كيمياء الإستعارة "[وقد تبنى اصطلاح كيمياء الكلمة عبد الغفار مكاوي]*،و هي عند آخرون بتسميات أخري[4]"

ويبدو من المقابلة بين هذه الاصطلاحات جميعا أن أنسبتها كيمياء الخيال.إلاّ أنه وإن اختلفت تسميات هذه الكيمياء تبقى العنصر الأولَ والأخيرَ في إبداع خياليٍّ لا على مثال سابق ، باستخدام

---

[1] م . ن، ص . ن .

[2] حسام الخطيب مقدمة كتاب المتعة الأخيرة لوليد إخلاصي ، م . س ، ص : 20 .

[3] جهاد فاضل ، قضايا الشعر الحديث ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، د . ط ، د.ت ،ص : 101.

* عبد الغفار مكاوي ، ثورة الشعـــــر الحديث من بودلير إلى العصر الحاضر ، ج1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د .ط)، (د.ت)، ص : 224

[4] السعيد مومني ، الإبداع الأدبي بين جمالية التلقي و كيمياء الخيال في الخطاب النقدي الأدبي ، م .س ، ص : 14 ، 15 .

فاعليات كيميائية تتصرف في الهَيُولى عَدْماً،وصَهْراً ، ومَزْجاً،وتشكيلًا .... لتخرج إبداعاً في صورته المكتملة ، فتقتطفه ذائقة متفردة بدورها ، باستخدام فاعليات كيمياء الخيال قدرة مشتركة بين قطبي العملية الإبداعية (منشئ ومتلق) ، إلّا أن كيمياء الخيال بالنسبة للمنشئ تنطلق من الحسيِّ المجرَّد إلى الذهن باعتباره أصلَ الإبداع ، والرحم البيولوجي له ، في حين أن كيمياء الخيال بالنسبة للمتلقي تنطلق من وسيط الخيال الحسيِّ فتحوله إلى خياليٍّ في الذهن .

عليه إن كيمياء الخيال تنشط بفاعلياتها المختلفة لتبدع خياليا لا مثال له إلاَّ ذاته متفرد بطبعه ، فالخياليُّ ناتجُ كيمياء الخيال التي تتصرف فيه بفاعلياتها المختلفة .

لكن ما هو الخياليُّ ،وأيّ اصطلاح أصح الصورة ُأم الخياليُّ ؟.

4- الخياليُّ :(L'imaginaire)

الخياليُّ هو التجسيد الحق للخيالِ : "فالخياليُّ لا يدرك إلاَّ بالخيالِ"[1].كما يقول العربي الذهبي .

ورد الخياليُّ بهذا المصطلح أو بمصطلح الصورةِ في دراسات نقدية عند العرب . وبما أننا بصدد تحديد أيّ المصطلحين أنسب، لذلك سنقوم باستعراض الدراسات النقدية في كل منها.

ينطلق مفهوم الخياليُّ عند حازم القرطاجني من الواقع الحسي ليأخذ مادته الإبداعية ، ويحولها في الذهن إلى خياليات مُبْدَعةٍ . أما غاستونباشلار في معظم كتبه منها :" الماء والأحلام " جماليات المكان"" ولهب شمعة "، فإنه يركز على الدور الفعال للخيال في إنتاج الخياليِّ ، حيث الصورةُ [الخياليُّ] ظاهرة من ظواهر الوجود .[2] وفي كتابة " الماء والأحلام " يضع الحد الفاصل للمصطلح حينما يقول بمفهوم الخياليِّ"فالكلمة التي تتوافق مع الخيال ليست الصورةُ ، وإنما الخياليُّ[3]"، بهذا يكون الخياليّ ُناتجٌ من نواتج الخيال كونه عملية ذهنية مجَّرد ة ، على عكس الصورة التي ترتبط بالواقع المادي المحسوس "فالخيال ليس ملكة تشكيل صور الواقع ، وإنما ملكة تتجاوز الواقعَ[4]".

ومن قول غاستونباشلار نخلص إلى نتيجة مفادها أنَّ الغرب تجاوزوا فوضى الاصطلاح في كل شيء ومنه الخَيْلَةَ/الخياليُّ المقابل لاصطلاح [5](Image) ومصدره الخيالُ[6](Imagination)

---

[1] السعيد مومني ، الإبداع الأدبي بين جمالية التلقي و كيمياء الخيال في الخطاب النقدي الأدبي ،م. س ، ص : 15 .

[2] غاستون باشلار، لهب شمعة ، تر . مي عبد الكريم محمود ، أزمنة للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2005، ص : 10

[3] غادة الإمام ، جاستون باشلار ، جماليات الصورة، التنوير للنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010 ، ص : 224 .

[4] م . س، ص : 231 .

[5] جروان السابق ، كتر الطالب ، قاموس فرنسي ، عربي ، المؤسسة العربية العامة للكتاب ، ط1 ،1991، ص :364 .

[6] م . ن، ص .ن

أضف إلى ذلك فالجهد الذي قدمه " سيسيل دي لويس " في مؤلفه " الصور الشعرية "[1] إذ أثرى بدراسته هذا التوجه في دراسة الخيالِ والأثر الذي يحققه لصالح الفنِ .

وقول "غاستونباشلار"بالخياليِّ هو ذاته الذي أكدته أميرة حلمي مطر في مؤلفها الموسوم بـــ"مقدمة في علم الجمال " حينما تصف الصورة [الخياليّ]بأنها ثمرة انتقاء وتهذيب للمادة المحسوسة المستمدةِ من الطبيعة[2]، وتؤكد مرة أخرى في كتابها فلسفة الجمال بقولها : ‹‹فهو إبداع الصورِ[الخياليات][3] واصفة ذلك الخياليَّ بالإبداع والجمال .كما جاء لفظ الصورة [الخياليّ]عند اليف ستالوني في "الأجناس الأدبية "[4]

بهذا فال خياليٌّ تحقق لكل جميل ،وإن كان في صورة قبيحةٍ"فالكائنات التي تقتحمها العينُ حينما تراها في الطبيعة تلذُّ مشاهدتها مصورةً ، إذ أحكم تصويرها مثل صور الحيوانات والجيف" [5].من هنا يغدوا الخياليُّ إبداعياً فجمالياً.

كما قال حمادي صمود في " نظرية الأدب عند العرب " بلفظ الصورة [6]، ويدعم في موقفه مصطفى ناصف في كتابة " نظرية المعنى في النقد الأدبي "قائلا بالصورةِ أيضا وإن كان يعني بها الخياليُّ، الاصطلاح الصائب حسب تقديرنا ، متجاوزا العرف السائد حينما أكد على قيمة الخياليّ الذي يتطلب التأثير في المتلقي وحفزه ، وإدخاله في التجربة الشعرية[7] ، كما قال غنيمي هلال

---

[1] سسيل دي لويس ، الصورة الشعرية ، تر . أحمد نصيف الجنابي و آخرون ، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام ، الصفاة ، الكويت ، د. ط ، 1982 ، ص : 20 .

[2] أميرة حلمي مطر ، مقدمة في علم الجمال و فلسفة الفن ، م . س ، ص : 38 .

[3] أميرة حلمي مطر ، فلسفة الجمال ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ،(د .ط)، (د . ت)، ص : 9

[4] إليف ستالوني ، الأجناس الأدبية ، تر. محمد الزكراوي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2014 ، ص : 168

[5] أرسطو طاليس ، فن الشعر ، تر . عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، د. ط ، د .ت ، ص : 12 .

[6] حمادي صمود ، في نظرية الأدب عند العرب ، م . س ، ص : 21 .

[7] مصطفى ناصف ، نظرية المعنى في النقد الأدبي الحديث ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، د . ط ، د. ت ،ص :93 .

بالصـــــورة [1]أيضا حيث تذوق أشعارا من قصيدة رامبو" السفينة السَكْرى " فأعجب بها متحدثا على الخياليِّ المشكل وَحْدَة .

وأكد "جابر عصفور " على القول بالصورة في :" الصورة الفنية ،ومفهوم الشعر" إذ أقام الصلة بين الشعر والصورة[2] مؤكدا على ذلك في مفهوم الشعر مفرقا بين التَخَيُلِ و التَخْيِيلِ[3]، حيث ينطلقان من الخياليِّ سواء أكان من طرف المنشئ أو المتلقي ، مؤكداً على الأثر الذي يتركه في المتلقي.

كذلك الخياليُّ عند نعيم اليافي ، فهو " ليس إلاّ تعبيرا عن تجربة على هيئة ذهنية "[4]. كما أن أيّ عمل يقوم به المبدع ينتهي بخلق الخياليِّ .[5]

أما بخصوص اصطلاح الخيالي عند النقاد المحدثين ، فقد عُني به أشد عناية ، إذ تحدث عنه عاطف جوده نصر في " الخيال مفهوماته ووظائفه "[6].وعن الملكة المنشِئة له ، وفاعلياته ، والكيمياء التي تصهر وتمزج وتشكِّل هذا الخياليَّ .

وقد جعله عبد العزيز عتيق أثرا من آثار الخيالِ الذي لا يعرف إلاّبه[7] .

وعليه فإن الخياليَّ هو الاصطلاح الصائب .فهو ناتج من نواتج الخيال لحظةَ إعدام الموجوداتِ ،لخلق خياليٍّ مُبدَعٍ لا يشبه مُبْدع آخر ، بفعل فاعليات كيمياء الخيال .

---

[1] غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث ، م .س ، ص : 412 .

[2] جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1992 ، ص : 13 .

[3] جابر عصفور ،مفهوم الشعر ، دراسات في التراث النقدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ،ط5 ، 1990 ، ص : 190.

[4] نعيم اليافي ، مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، منشورات الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، سورية ، د . ط ، 1982 ، ص : 74.

[5] أرنست فيشر ، ضرورة الفن ، تر . أحمد حليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د .ط ، د . ت ، ص : 16 .

[6] عاطف جوده نصر ، الخيال مفهوماته و وظائفه ، م .س ، ص : 267 .

[7] نور الدين السد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، دراسة في النقد العربي الحديث (تحليل الخطاب الشعري و السردي) ،ج2 ، دار العودة ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، د .ط ،2010، ص : 54 .

5- الإبداع ومراحله :

يُعدُّ الإبداع ظاهرةً من ظواهر الفن مطلقاً ، وهذا الأخيرُ ناتج عن مصادر عدَّة لخصها العلماء في مصادر حسب كل أمة والعصر الذي ظهرت فيه ،فهي حسب الثقافة اليونانية متصلة بالإلهام الذي يُقدم من قبل قُوى غيبية توحي إلى الشعراء ؛ هي ربَّات الشعر كما قال أفلاطون ، والحال ذاته في الثقافة الجاهلية ممثلة في شيطان الشعر ، أما في العصر الحديث فقد ارتبط بفكرة ذات تأصيل منطقي مناقضة ومخطئة للنظريتين السابقتين وهي ملكة الخيالِ.

ولمعرفة ماهية الإبداع لابد من تتبع المصطلح في معناه المعجمي والاصطلاحي على حدِّ السواء ، وهذه حركة لابد منها لتأصيل له .

ورد تعريفه – الإبداع – في المعاجم العربية ، منها لسان العرب من "بَدِعَ الشَيْءَ يَبْدَعَهُ بدْعاً ، وابْتَدعَه ، وأنشأه وبَدَأَهُ. وأبْدَعَ و ابْتَدَعَ وتَبَدَّعَ : أيْ بِدْعَةً ، قال تعالي : ورُهْبانِيَةً ابْتَدعُوها . وفلان بِدْع من هذا الأمر أي أوَّلُ لم يسبقه أحَدُ[1] ". إنَّ المتأمل في تعريف ابن متطور للإبداع يخلص إلى أنَّه مقترن بالجِدَّة والحداثة في الشيء المبدع .

أما في المعجم الوسيط فهو :" إيجادُ الشيء من عَدَم "[2] والإبداع من عدَم لا يعني عدَم مطلق ، بل هو عدَم فيه قابلية وجود .

وأما في معجم التعريفات فهو "إيجادُ الشيءِ من لا شيء وقيل تأْسِيسَ الشَيءِ عن الشَيءِ، والخلق إيجادُ شَيءٍ من شَيءٍ . قال تعالى : " بَدِيعُ السماواتِ والأرضِ" (البقرة 117) ، وقال : " خَلَقَ

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، (ب .د .ع) مج 8، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (د . ط)، (د . ت)، ص : 06.

[2] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، م . س ، ص : 43 .

الإِنْسَانَ " (الرحمان 3) والإِبْدَاعُ أَعْمَقُ مِنَ الخَلْقِ ، ولذا قال : " بَدِيعَ السَمَواتِ والأَرْضِ" وقال " خَلَقَ الإِنْسَانَ " ولَمْ يقل بَديعَ الإِنسَانِ".[1]

لقد تعددت تعريفات الإبداع إلاّ أنها لم تخرج عن مفهوم الإيجاد على غير مثالٍ سابقٍ ، وما مثاله إلَّا هو نفسه .

وتعريف الإبداع في معناه الاصطلاحي لم يخرج عن التعريف الوضعي له ،وإن تعددت مجالات استعماله في الأدب ونقده ، أو في علم النفس ....

"فالإبداع اتيان بالجديد الذي لا يوجدُ له شبيه وهو يناقضُ التقليد[2] .

كما أنه "تركيبُ شيء على غير مثالٍ سابقٍ[2] ".

أما تعريف الإبداع في اصطلاح الفلاسفة فله عدَّة معانٍ :

الأول:تّأسيس الشيء عن الشيء، أي تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقا كالإبداع الفنيِّ.

الثاني : إيجاد الشيء من لا شيء كإبداعِ البارئ سبحانه ، إنما هو إخراج من العدَمِ إلى الوجود .

الثالث: إيجاد شيء غير مسبوقٍ بالعدم ويقابله الصُنعُ، وهو إيجاد شيء مسبوق بالعدم.[4]

من خلال تتبع تعريف الإبداع وضعا واصطلاحا تأكد لنا أنهما يتفقان في مفهومه مبرزان أهميته في تنمية النشاط الفكري وفي الوقت نفسه برهان على تفرد الذَّات في الإتيان بالجديد ،وبرهان آخر على تملصها من عباءة التقليد الذي يقتل الأفكار والوجود ، والإبداع ذاته .

---

[1] على بن محمد السيد الجرجاني التعريفات ، تح .محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للنشر، القاهـــرة ، مصر ، (د. ط)، (د. ت) ، ص : 10 .

[2] جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار الملايين ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1984 ، ص : 02 .

[2]محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، م . س ، ص :17 .

[4] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، (د . ط) ، 1982 ، ص : 31 .

كما أن الإبداع صانع الحضارات وإن زالت ، وسر من أسرار الوجود والخلود ، لهذا قال نزار قباني : "لا يهزم الموت إلاّ الفن ، والفنانون هم الوحيدون الذين يخافهم الموت ".[1]

والإبداعُ الذي هو الإتيان بشيء نموذج ذاته ، على غير مثال سابق ، ولا مثال له إلاّ هو نفسه لا يتأتى إلا بملكة الخيال ذلك أن الخيالَ«أمرًا جوهريا لإبداع الفن من خلال أيِّ وسيط "[2] . فالإبداع يتم بوسائط مختلفة سواء كانت لغوية أو غير لغوية ، فالشعر مثلا يستعمل اللغة أو الكلمة مشحونة بالدلالات وسيطا، وأما التصوير وغيره من الفنون الموازية له فإنه يستعمل وسائط أخرى كاللون...

و إذا كان الخيال أساسَ الإبداعِ ، فإن الإبداع أساسَ بناء الحضارة والوجود الإنساني المتأصل ، فهو يعمل على التأسيس للقيم والمفاهيم ، كما أنه خصيصة الذَّات في تعاملها مع ما يحيط بها من تجارب.وعملية إبداع الخياليّ تتم عبر مراحل لا يكون إبداع دونها نجملها في :

التأسيس والإنتاج والإخراج[3] .

1- **مرحلة التأسيس** : وهي مرحلة البناء ووضع الأساس المتين لأيِّ عمل فني ، حيث يكون الشاعر ذاته حفظا وسماعا ، وأخذ المعارف ليدخل في مرحلة الدربة والتمرن على القول [4]، وهذه المرحلة تتحكم فيها جملة من العوامل منها ، الموهبة ، أو ما يعرف بالاستعداد الفطري للإبداع .[5]

2- **مرحلة الإنتاج** : بعد أن يتمكن الشاعرُ المبدعُ من تكوين ذائقة شعرية ليبدع فيُصَنَفَ في مرتبة الشعراء الأكفاء ، والمقصود بها تلك المرحلة التي يُنتجُ فيها الشاعر قصيدته[6]، وهي أهم مرحلة

---

[1] جهاد فاضل ، أسئلة الشعر ، حوارات مع الشعراء ، الدار القومية للكتـــاب ، الإسكندرية ، القاهرة ، (د . ط)، (د . ت)، ص : 362 .

[2] شاكر عبد الحميد ، الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي ، م . س ، ص : 64 .

[3] سعيد بكور ، الإبداع الشعري عند العرب من التأسيس إلى الإخـــراج ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الأردن ، ط1 ، 2012 ، ص : 11 ، 12 .

[4] سعيد بكور ، الإبداع الشعري عند العرب من التأسيس إلى الإخراج ، م . س ، ص : 11 .

[5] م .ن ، ص : 15 .

[6] م . ن ، ص : 11 .

في مراحل الإبداعِ كون الشاعر يعيش تجربته الشعرية بصدق ليلتحم بها وهذا هو سر الإبداعِ ،هو رؤية وفرادة شعرية ، وتجسيد للواقع فالتحام به .

3ـــمرحلةالإخراج: وهي المرحلة التي يخرج فيها الأثر الشعري من رحم العدَمِ إلى حيز الوجود ، فيصير ماثلا أمام المبدعَ لينقحه وينشده[1]، وتقوم هذه المرحلة على التنقيح والإنشاد؛إذ التنقيح هو غربلة المبدعات وتصفيتها ، قصد إخراج أدبٍ جيد خالٍ من العيب[2].

إضافة إلى حسن الإنشادِ ، وهو الموهبة التي تولد لحظة ولادة الشاعر[3]، فهو مهم في عملية الإبداع، كما أنَّ الخياليَّ المبدعَ يتطلب إخراجه في صورته النهائية المتفردة قراءة أولى وثانية ،وهي الطريقة التي ابتدعها الشعراءُ في نظم قصائدهم المسماة بالحولياتِ.

بهذا فالإبداع يعطي الجديدَ ، الموجد من العدم خياليات تشد متلقيها بسحر عبر عملية كيميائية عجيبة تشبه التواجد في مخبر كيميائي[4]، يحلل الشاعر مادته الإبداعية ، ويهدمها ، فيخلقـــها من جديد ، ليكون إبداع من عدَم ، وهذا هو سر التميزِ والجِدَّة . إلّا أن الإبداع لا يكتمل في شكل نهائي، ويتوجه إلى متلق يبدع فيه مرَّة ثانية .إلاّ وفق ترسيمه إبداعية هي : المنشئ ، العمل الأدبي ، الواقع ، المتلقي .[5]

وعليه فالإبداع هو عملية الذَّات لإنتاج خياليٍّ هو ثمرةُ ملكةَ الخيـــالِ لحظة اتصالها بالواقع المحسوس ، إلّا أنه يسمو عنه ويخالفه كونه مثالياً .

---

[1] م . ن ، ص : 12 .

[2] م . ن ، ص : 85 .

[3] م . ن ، ص : 104.

[4] وليد إخلاصي ، المتعة الأخيرة ، اعترافات شخصية في الأدب م. س ، ص : 163.

[5] جوليا كر ستيفا ، علم النص ، تر. فريد الزاهي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 1997 ، ص : 43 .

الفصل الثاني

فاعليات كيمياء الخيال في إبداع الرعد الجريح

تنشط كيمياء الخيال في عملية الإبداع الفني عموماً، و في الشعر خصوصـــاً وفق فاعليات كيميائية ، بها يُبدَع الخياليُّ بِدْعاً متفرداً ، وخاصاً ، لا مثال له ، إلاَّ هو ذاته .

و قوام فاعليات كيمياء الخيال هي :العدم ،و الإمكان ، والاختلاف ، والتفاعل ، والصهر، والمزج ، و التحويل ، و التشكيل .

و من هذه الفاعليات الكيميائية تشكَّل الخياليُّ" الرعدُ الجريحُ" بِدْعاً .

1- فاعلية العدم :

العدم أولى فاعليات كيمياء الخيال ، فهو أصل الإبداع ، ولا إبداع دونه ، و الإبداع من عدم لا يعني عدماً مطلقاً [1]، إنَّما هو عدم فيه قابلية وجود.[2]

وقد تجسد في قصيدة "الرعدُ الجريحُ"،حيث يبرز بدءاً بعنوانها ،إذ أعدم خليل حاوي دلالة الرعد الظاهرة الطبيعية، و الصفة الإنسانية الحيَّ المجروحَ بكيمياء خياله ،ثم فاعل بينهما مرَّة ثانية ،وشكَّل مزيجا غريبا و عجيبا لا يتحقق إلاَّ بهما معاً. ،وهذا التوافق غريب ،مثله مثل فاعله و الكيمياءَ المتصرفةَ فيه، إذ هي شبيهة بعلاقة الأم بجنينها ،فلا وجود له إلاَّ بها.

وباعتبار الخيال خصيصة بشريةً هو الذي يُمَكِّن المبدع من خلق الخياليِّ المتفرد" الرعدُ الجريحُ" الماثل إلينا في صورة حافزة للتلقي والتأمل، بفعل "الحرية"[3] المتاحة للمُبْدِعِ والمتلقي معاً ،وهذا الفعل

---

[1] عاطف جوده نصر ،الخيال مفهوماته و وظائفه ، م . س ، ص : 152.

- عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج 2 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1984 ، ص : 70.

[2] إيليا حاوي خليل حاوي في سطور من سيرته و شعره ، ج 1 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983 ، ص : 162 .

[3] جان بول سارتر ، الوجود و العـــدم ، بحث في الأنطولوجيا الظاهرتية ، تر. عبد الرحمن بدوي ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1966 ، ص : 81 .

الإبداعيُّ يتأتى من خلال " ردِّ الأشياءِ إلى حكم العدمِ ،لأنه بدونه يستحيل الفعل الحرُّ والخلق الأصيل "[1]

وبما أن العدم إحدى فاعليات كيمياء الخيال ،فإنه لا يتأتى لكل نفس بشرية إلاَّ المُمْتَلِكة قدرة إبداعية متفردةً "إذ العدم شرط في التخيُّل ،و التخيُّل تكشف للعدمِ "[2]

لقد أعدم خليل حاوي موجوداتٍ مختلفةٍ، من أجـــــــــل تشكيل خَيَالِيَّهُ "الرعدُ الجريحُ " ومنها:الطبيعيةُ الرعدُ، والإنسانيةُ الحيُّ المجروحُ، والنباتيةُ الغَّضُّ، و الحيوانيةُ،والنسرُ، و الأخطبوطُ، و التجريديةُ مختلف القيمِ التي يتميز بها البطلُ الخياليُّ .

و العدم، فاعليةٌ كيميائيةٌ، تتجلي في قول خليل حاوي :

"الرعدُ الجريحُ"[3]

إلى أن يقول :

" كيفَ لا يحترقُ الليلُ ويفنَى

حين يلتفُّ على

رعدٍ جريحْ "[4]

لقد أعدم الشاعر ظاهرتين إحداهما الرعد الظاهرةَ الطبيعيةَ،و الأخرى إنسانيةٌ هي الإنسانُ الجـــريحُ ، ثم فاعل بينهما ، وصهرهما ،مشكِّلاً منهما خياليًّا لا على مثال سابقٍ ، فالرعدُ الظاهرة

---

[1] إيليا حاوي ، خليل حاوي في مختارات من شعره و نثره ، ج2 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1984 ،ص :121.

[2] عبدالملك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ،دار هومة ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ،(د . ط) ، 2007 ، ص : 4 .

[3] خليل حاوي الرعد الجريح ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، (د .ط) ، 1993 ، ص : 425 .

[4] م . ن ، ص : 432 ، 433 .

الطبيعية تحوَّلت في بوتقة خيالِه بطلاً خارقاً و مغوارًا ،إلاَّ أنه مجروحٌ، وهذه الصفة التي ألحقت به أنسنته ،هذا هو فعل كيمياءِ الخيالِ،التي تجمع بين المتناقضات ، جمعاً تفاعلياً شديداً .

إن جُرحَ البطلِ لا يعني سلبيةً مطلقاً، بل على العكس، فقد حمَّله الشاعر كل نظرة متفائلة بغدٍ مشرقٍ هو أمل كلِ فرد في انبعاث الأمة العربية من جمودها.

وبهذا يكون الرعدُ الخياليُّ لا يشابه الرعدَ العينيَ الذي اعتادته الحواس ، إلاَّ من حيث أنه يُنبِئ بقدوم خير قريب ، فالرعدُ العينيُ يُنبِئ بقدوم غيث يروي الأرض فيُحييها ،و الرعدُ الخياليُّ كذلك يُنْبِئ بقدوم ثورة تُحي الأرض فتغير واقع البلاد والعباد ؛إنه رعدٌ ينبِئ بقدوم مقاومة تغيِّر حال الأمة مثلما يغيِّر الغيث وجه الأرض .

أما المعدوم الإنساني الثاني الذي شكل بطل خليل حاوي ، فهو إنسانٌ وليس بإنسانٍ ، كونُه يمثل خير خلق الرحمان "محمد عليه الصلاة و السلام " إذ يقول:

"و تصفَّتْ دوحةُ الصحراءِ

في فرعٍ أصيلْ"[1]

إلى أن يقول على لسان الأمة / الأم :

" ولَدي ليسَ المسيحْ "[2]

فخليل حاوي استحضر شخصيتين دينيتين هما : "محمد – عليه الصلاة و السلام –"إذ دوحة الصحراء رمز حضاري خاص به ، وكذلك السيد المسيح– عليه السلام – ، وبهذا فإن البطلَ "الرعدُ الجريحُ" يشبه النبي محمدٍ و المسيحَ في الإخلاص و الأمانة و الفداء ، ممثلا قِيَمًا نبيلةً ، إنه "البطل

---

[1] خليل حاوي ، الرعد الجريح ،م . س، ص : 439.

[2] م .ن ، ص : 459 .

العربي الذي قال إنالجنة تحت ظلال السيوف و رفض أن يتخلى عن دعوته فصمد أمام أعدائه و حاربهم إلى أن تم له النصر ".[1]

كما أنَّ الشاعر يشير إلى مقولة صلب المسيح ، نموذج التضحية و الفداء في سبيل البشرية ، و هو بهذا يُعَدُّ قدوة لكل إنسان غيورٍ و مضحٍ ، غير أنَّ الأمةَ/الأمُ ترفض أن يكون ولدها " الرعدُ الجريحُ " فداءً لأيٍّ كان ، فلا يوجد إنسان يستحق تضحية الرعد الجريح ، فالكل تواطئون و خونة .

و يظهر العدم أيضا في قوله :

" عادَ

غضَّاً و غضوباً متعاليْ "[2]

فالغضُّ هو النبات في أول نشأته لكنه أُعدم مدركاً، بفعل كيمياء الخيال، و الغضوب الصفة الإنسانية تعبيرٌ عن حالةٍ نفسية معقدة و متأزمة ، وبالعدم تحوَّلت دلالةُ كل من الغضِّ و الغضوب إلى بطل رعد في ذهن خليل حاوي ، إذ بفعل العدم صارت مادة أولى ،تفاعلت و تحوَّلت فتشكلت خياليًا مُبْدعًا على غير مثال سابق و لا لاحقٍ ، هو البطلُ الغضُّ الغضوبُ ، دلالةً على الفتوة والبسالة ،حيث يكون الإنسانُ في أول عمره قويًا قادراً .

و من هنا يتأكد أنَّ الخياليَّ "الرعـــدُ الجريحُ" ناتجٌ من مفاعلةٍ بين ظاهرتين إحـــداهما خاصةٌ بالنبات ،و الأخرى صفةٌ إنسانيةٌ .

أما المعدوم الآخرُ الذي تشكَّل منه البطلُ خياليًا مُبْدَعًا متفردًا يتجلى في قوله :

" أُخطبوطاً في محارهْ "[3]

---

[1] ريتا عوض ، خليل حاوي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983 ، ص : 82 .

[2] خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م . س ،ص :459 .

[3] م .ن ، ص : 427 .

" غَير نسر ما يزالْ

يتملَّىالعمرَ

أعماراً طِوالْ"[1]

لقد أعدم خليل حاوي ماهية الأخطبوطِ ،و النسرِ ، ثم فاعل بينهما بكيمياء خياله ، ثم صهر العناصر بعضها ببعض ،فتشكَّل خياليّاً مبدعاً ، و تحقق هذا حينما اتحدت ذات الشاعر بجسد الأخطبوط و النسر ، فجاء الخياليُّ معبرًا عن قوة البطل العربي الذي لا ولن يهزم ، كونُه صاحبَ رؤيا هي رؤيا خليل حاوي قبل أنتكون رؤيا البطل في الدفاع و الصمود من أجل انبعاث الأمةِ العربيةِ . فالنسر رمز البقاء و التجدد[2] .

كما أن فعل العدم يظهر في قوله :

" و تباهي بالفتى المنحوتِ

من زهوِ الصفاءِ المرمرِيْ "[3]

فالرعدُ الجريحُ منحوت من مرمرٍّ دلالة صلابةٍ و قوةٍ ، وبهذا فقد تجاوز خليل حاوي المألوف والمعتاد ،فالإنسان عادة يُخلق من لحم و دم .

---

[1] خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م . س ، ص : 436 ، 437 .

[2] فيليب سيرنج ، الرمز في الفن – الأديان – الحيـــــــــاة ، تر. عبد الهادي عباس ، دار دمشق ، سورية ، ط1 ، 1992 ، ص : 200 .

[3] م . س ، ص :426 .

وبالعدم فاعلية كيميائية تشكّل الرعدُ الجريحُ بطلاً على غير مثال سابق و حقق جمالاً غير مألوف إلاّ بمنطق الخيال ، هذا مصداقا لقول ستيفان مالارمي: "بعد أن وجدتُ العدمَ وجدتُ الجمال ".[1]

ومن هنا نخلص إلى أن خليل حـــــــاوي أعدم مدركات العينيات، و حوّلها خيالياً ذهنيا ،عدْماً، و صهْراً و مزْجاً ، فتشكيلاً بطلاً مبدعاً من " لا شيء ولا من عدم [مطلق]"[2] هو الرعدُ الجريحُ المشكّل من وَحْدة اختلافٍ.

و هكذا فالعدم سرٌ من أسرار الوجود ، بل إن العدم يساوي الوجود في إيجاد الخياليات و في عَدْمها.[3]

ويُتْبَعُ العدمُ في عمليَّة كيمياء الخيال الإبداعيّة بفاعليَّةِ الإمكان التي سنعالج لاحقاً.

---

[1] عبد الغفار مكاوي ، ثورة الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحديث ، م . س ، ص : 230 .

[2] توفيق الشريف ، فلسفة الفن ، دار سيباد للنشر ، تونس العاصمة ، تونس ، ط1 ، 1955 ، ص : 56.

[3] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2 ، م . س ، ص :65 .

2- فاعلية الإمكان :

الإمكان إحدى فاعليات كيمياء الخيال ، لا تقل أهمية عن فاعلية العدم في الإبداع فـــ "الوجود و عدم الوجود ينبع أحدهما من الآخر "[1]. فهو الأثرُ الخياليُّ الذي يُوجـــــده المُبـــدعُ بكل صدق و حرية.

و بإرادة الشاعر ووعيه تنشط كيمياء الخيال ، فتعدمُ وجوداً سابقاً ثمَّ تحوِّله إلى عدمٍ لاحقٍ هَيُولَى تكون أصل الإبداع ، فالهَيولَى التي استقرت في الذِّهن مادة خيالية من خلالها يتمكَّن الشاعرُ من التصرف صهراً و مزجاً و تحويلاً فتشكيلاً خيالياً لا علي مثال سابق .

و إمكان إيجاد الخياليَّ المبدعَ لا علي مثال سابق ، لا يتأتى في عمليّة الإبداع الفنيّ إلاَّ بتوفر ثلاثة مبادئ هي : طواعية المادة للتشكيل باعتبارها الهَيُولى التي منها يتشكَّل الخياليُّ المتفردُ ، بصهر عناصره المختلفة و مزجها بكيمياء الخيال ، لتصير بذلك مثال نفسها ، ولا مثال لها إلاَّ ذاتها ، هذه قِمَّة الإبداع التي يمتلكها الشاعرُ المتفردُ ،و هي ما يمكن تسميتها بقدرة الشاعر ؛ إذ تتجلى بامتلاك المبدعِ عموماً ملكة الخيال ، و التي من خلالها يتجاوز الواقع إلى المثالي، فيجمع بين المختلفات ، فيعدمها ليقضي علي ماهيتها ، ثم يحضر بدلها ماهية خياليةً متحققة في الذهن ، فيفاعل و يصهر و يمزج بينها ، لينْتِج منها مادةً جديدةً ، هي الخياليُّ مثل : "الرعدُ الجريحُ "فتشكيله دليل علي قابليته للوجود[2]،التي تمنحه أبعادا دلالية لا تنتهي.

ويتحقق الإمكان ، فاعلية كيميائية ،في قصيدة " الرعدُ الجريحُ "باعتبارها إمكاناً لاحقاً لوجود سابقٍ في ذهن" خليل حاوي " هو الواقع المتأزم الذي تعيشه الأمةُ العربيةُ .

---

[1] وليد إخلاصي ، المتعة الأخيرة ، م . س ص : 104

[2] السعيد مومني ، الإبداع الأدبي بين جمالية التلقي و كيمياء الخيال ، م . س ، ص : 18 .

إن مدرك الرعد و الإنسان صار حقيقة ممكنة في الذهن ، حيث أعدما ليعاد تشكيلهما مرَّة أخري خيالياً ممكناً، إذ الإمكان إمكان عدم و إمكان وجود [1]، و الخيالي ُّ مرَّ بالاثنينِ معا ، كما امتثل للمبادئ الثلاثةِ لفاعلية الإمكان ،من خلال امتلاك خليل حاوي خيالاً واسعاً حراً مكَّنه من إيجاد بطلِه الخياليِّ "الرعدُ الجريحُ "، فهو إنسان وليس بإنسان ، إذ تدخل في تشكيله مختلفاتٌ كثيرةٌ ، جعلت منه خيالياً غير عاديٍ.

وإمكان وجود البطل يظهر من الوهلة الأولي التي تسمي فيها الأمة / الأم جنينهـــــــا إذ تقول: "فرْحةُ الأُمِّ التي تحتضنُ

الطفلَ الطريْ

وتباهي بالفتي المنحوتِ

من زهو الصفاءْ المرمرِيْ"[2]

فالمادة الخيالية التي تشكَّل منها البطلُ "الرعدُ الجريحُ " طيِّعة إذ المفردات : الطفل ،و الطري ، والمنحوت ، والمرّمرّ صارت هَيُولى معدومةً بفعل كيمياء الخيال، ثم تشكَّلت بفعلها أيضاً . فكان البطلُ الخياليُّ لُحمةً ،خياليٌّ مشكَّل علي غير مثال سابق، و علي الرُّغم من فتوته ، إلاَّ أن لـــــه قوةً و صلابةً من صخر لا يتفتت .

و قد مرَّ البطلُ الخياليُّ بكل المراحلِ العمريةِ التي يمرُّ بها الإنسان من ولادة و شباب ، حيث يقدِّم في مرحلة الشباب كل طاقاته حتى يكون بطلاً إيجابياً يحقق رسالة سامية و هي بعث أمته ، كما أن كل الظروف ساعدت علي وجوده بطلاً رعداً لا تقف في وجهه قوةُ شرٍ ، إذ يقول الشاعر:

---

[1] محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، م . س ، ص : 217.

[2] خليل حاوي ، الرعد الجريح ،م .س ، ص :426 .

" عادَ

غضَّاً و غضوباً مُتعاليْ

يحملُ الجرح الذي يترفُ

جمراً ولآليْ

أتُري هل كانَ

في حُنوةِ ليلٍ يستريحْ

حيثلا تضربه شمسٌ

ولا تُحفيهِ ريحْ" (1)

فالبطل "الرعدُ الجريحُ" عاد من عمق المأساة ، من حربين عظميين هما حرب 1948وحرب 1967،عاد منهما مقاوماً، إنه في قوة و عزيمة لا ينتهيان ، فهو أمل الأمةِ العربيةِ في تحقيق حلم الانبعاث .وكما أسهمت في تشكيله خيالياً مُبدعاً على غير مثالٍ سابقٍ ظروف جمَّي ،و هو ما يظهر في كلمتي : الشمس و الريح ، بما تحملانِ من معاني الصيرورة و التغيير .

و بهذا يكون الإمكان ، فاعليةً كيميائيةً ، من خلالها يُوجدُ الخياليُّ مبدعاً من اختلاف .

(1) خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م .س ،ص : 432.

3- فاعلية الاختلاف :

يُعدُّ الاختلافُ جوهر الفكرِ الفلسفيِ لارتباطه بالحرية ، و قد انعكس على الفن وعلى غايته الأسمى و هي الإبداع .[1]

و باعتبار الاختلاف ،فاعلية كيميائية ، يتحقق من خلالها وُجود الخياليِّ ، الذي يتطلب إعدام مدركاتٍ سابقةٍ ، فتتحوَّلُ إلى هَيُولى متعالية في ذهن المبدع ، منها يُبْدع الشاعر خياليه المتميز من سواه.

و بهذا فالاختلاف هو التغاير بين الأشياءِ و العناصرِ[2] ،" ممّا يعطي حركة الإبداع تألقها و تنوعها و غناها ". [3]

و بما أن عناصر الطبيعةِ بأسرها قائمة على الاختلاف إذ منه يتحقق و جود جديدٌ تمامـــــــاً عن سابقه ، فالاختلاف تجاوز أن يكون مبدءاً من مبادئ الطبيعة ،فأصبح مبدءاً من مبادئِ الفن ،و الذي" يتعرض لتحليل عمل أدبي ناضج سيكتشف أن العناصر الداخلة في تكوينه ، قد تحوّلت من مجرَّد مواد خام ذات خصائصَ معينةٍ إلى عناصر جديدة و متميزة لها جزئيات و عناصر مختلفة تماماً تمنح العمل الأدبي شخصيته المتفردةَ بين الأعمال الأدبية الأخرى ،سواء الماضية أو المعاصرة أو القادمة ".[4]

و بهذا فإننا نؤكد كل مرَّة ،على الدور الفعال الذي تلعبه كيمياءُ الخيالِ في عملية الإبداع الفني، حيث إنها تجمع بين عناصر مختلفة" فالاختلاف هو الرابط الوحيد الذي تجتمع به الأشياء وتتوحد"[5]

---

[1] على عبد المعطي محمد، فلسفة الفن رؤية جديدة ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ،(د.ط) ، 1984، ص: 22.

[2] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، م . س ، ص : 251 .

[3] أدونيس (على أحمد سعيد)، المحيط الأسود ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005 ، ص : 49 .

[4] نبيل راغب ، التفسير العلمي للأدب- نحو نظرية عربية جديدة – ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997 ، ص : 135 .

[5] عادل حدجامي، فلسفة جيل دولوز عن الوجود و الاختلاف، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط ، 2012 ، ص: 198.

و يتجسد الاختلاف في قول خليل حاوي :

" جَبهة الرعدِ

تَجلّت ملء عينِ و يديْ " [1]،

فلفظة الجبهةِ و الرعدِ يبدو توظيفهما معاًمن الناحية المنطقية غير سليم ، إذ لكل منهما معجم خاص ، و دلالةٌ ثابتةٌ، لكن قصد الشاعر هو ذلك المزيجُ الذي تشكّل مـــن صهر المفردة داخل الأخرى ،حتى يشكِّل وَحْدةَ الخياليِّ " الرعدُ الجريحُ " ، فالمقصود بهما " ذلك المزيج الناتج عن انعكاس هاتين النسبتين و تداخلهما "[2] ، إذ الجبهةُ عضو إنساني و الرعدُ ظاهرةٌ طبيعيةٌ ، مختلفان كل الاختلاف ، إلاَّ أنَّ من وَحْدهما تشكَّل خياليٌّ خليل حاوي " مجمع المتناقضات ".[3]

و بهذا فإنَّ هذه المفارقة " الرعدُ الجريحُ " غذتها متنافرات عديدة ، و ذلك بالمفاعلة بين ملامح الإنسان و ملامح الشيء ، إلاَّ أنَّ هذا لا يصدق بمنطق العقل ، إنَّما يصدق بكيمياء الخيال ، التي تذهب بخلق و تأتي بخلق جديد .[4]

و بالخيال فاعلية كيميائية ، تمكِّن الشاعر من الإتيان بالشيء و نقيضه معاً ، فإنَّ خليل حاوي وجدنفسه " في عالم تتلاشي فيه التناقضات منصهرة مشكِّلة كياناً واحداً "[5] ، هو البطل " الرعدُ الجريحُ " خيالياً مُبدعاً و مُتفرداً ، " يحمل في أعماقه التناقض " .[6]

---

(1) خليل حاوي ، الرعد الجريح ،ص : 455 .

(2) نعيم اليافي ، مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، م . س ، ص :55.

(3) مصطفى ناصف ، نظرية المعنى في النقد الأدبي ، م .س ، 92 .

(4) جابر عصفور ، قراءة التراث النقدي ، مؤسسة عيبال للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991 ، ص : 238 .

(5) ت.إليوت و آخرون، اللغة الفنية،تر. محمد حسن عبد الله ،دار المعارف ، القاهرة ، مصر، (د .ط) ، (د .ت)، ص: 58 .

(6) أرنست فشير ، ضرورة الفن ، م .س ، ص : 16 .

و لقد تفطَّن عبد القاهر الجرجاني إلى الاختلاف ،باعتباره فاعلية كيميائية تشكِّل الخياليّ حينما عدَّه شدَّة ائتلاف في شدة اختلاف.[1]

و الخيالي ُ "الرعدُ الجريحُ "بطلُ خليل حاوي مشكَّلٌ من الاختلاف، الذي لا يعني الجمع بين المتشابهات، إنما الجمع بين المتباعدات، و التي تتفاعل فيما بينها مشكلةً المركبَ الجديدَ المختلف عن كل ماهية سابقة عليه .

و يتجلى الاختلاف سمةُ البطلِ الخياليِّ في قول خليل حاوي:

" دمهُ النار تُحيي

عروقاً يبستْ فيها الخطايا"[2]

إن تشكيلَ البطلِ " الرعدُ الجريحُ " من اختلاف جعل منه خيالياً مُبْدعاً ، حتى أن دمه صار ناراً تحيي . و على الرُّغم من أنَّ المفردتين متغايرتين إلاَّ أنهما تندرجان ضمن معجم الحرب و الثورة ، بل إن دلالة كلٍ من الدمِ و النارِ ، تأخذ أبعاداً أكثر عمقاً تتخطى بهما الدلالة الحسيـــة ، إلى دلالة معنوية ، إذ الدمُ و النارُ رمزُ الحياة و التجدد و الثورة ، و هذا هو حال " الرعدُ الجريحُ" ، فقد تشكَّل من دمٍ و نارٍ دلالة مقاومةٍ و صمودٍ .

و من الاختلاف ، فاعلية كيميائية ، تشكَّل " الرعدُ الجريحُ " خيالياً مُبْدعاً ، تفاعلت عناصره ، ثم صُهرت ، فتحوَّل من ضعفٍ غلى قوةٍ ، حتى أصبح رمزاً لكل أبناء الأمة العربية المخلصين .

و قول خليل حاوي :

" ترتوي من غضبِ

البركانِ و الثورةِ " [3]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، م . س ، ص : 132 .

[2] خليل حاوي ،الرعد الجريح ،م . س ،ص : 461 .

[3] م .ن ، ص : 444 .

خياليٌّ مشكَّل من عنصرين مختلفين ، بتفاعلهما حصل خرق أفق توقع القارئ ، و من هنا يتحقق الإبداع الإنساني ، إذ يصبح محملاً بالدلالات ، قابلاً عديد القراءات ،فالدلالة التي تحملها كلمة " ترتوي " توحي بالماء الذي يسقي الكائن الحيَّ، فيذهب كطشه ، و كلمة الغضوب الصفة الملازمة للإنسان ، و شتان بين الكلمتين في دلالتهما ، إلاَّ أنَّ بتفاعل كليهما نتج مركب جديد ثالث مُشْبَعٌ بالدلالات ، و زاد من عمق تلك الدلالة الحاق الشاعر كلمتي البركان و الثورة . فالرعدُ الجريحُ ارتوي من البركان و الثورة ، بدل أن يرتوي من الماء ، و قد حصل كل ذلك حينما أعدم الشاعر مدرك كل كلمة على حدةٍ ، ثم فاعل ،و صهر، وصهر ، و مزج عناصره ، فتشكَّل مزيج متعالٍ في ذهن خليل حاوي صادر عن اختلاف .

وهذا كله يطلعنا على قوة البطل " الرعدُ الجريحُ "، و تفرده ،إضافة إلى عزيمته التي لا تقهر .

4- فاعلية التفاعل :

يتجسد الفن عموماً باعتباره مجموعةً من" الأفكار، و المشـــــــــــاعر، والشخصيات، و الألفاظ، و المواقف، و الأحداث التي يقابلها الأديب في حياته "[1]، متداخلة فيما بينها مثيرة تفاعلاً و اندماجاً يَمْنح العمل الفنيّ ، ومنه الشعر فرادة تميزه من غيره.

و الشعر حسب إليوت " ليس تعبيراً عن المشاعر فحسب ، بل هو تخلص من المشاعر نفسها ، حيث إنَّ الشاعر لا يعبر عما في خلده من أفراح أو أشجان تعبيراً عشوائياً ، أو لمجرد البوح بها ، وإنما يتخذ من الكلمات وسيلة يتخلص عن طريقها مما حصل في ذاته من تفاعلات مع مواضع مختلفة أثرت فيه ، فنتج عن ذلك التفاعل عملاً أدبياً ".[2]

و بهذا فإن العمل الفني مهما كان نوعه هو حقيقة ناتجة عن تفاعل حاصل بين ذات المبدع والموضوع الحافز على الإبداع ، فهو حسب علي عبد المعطي موقف ذاتي موضوعي[3] ، تتداخل عناصرهما و تتلاحم ، فيتشكَّل مُبْدَعٌ متلاحمٌ يتعذر من خلاله فصل الموقف و تفكيك عناصره المتداخلة.

ولَّما كان التفاعل، فاعلية كيميائية ،تُوجِدُ الخياليَّ مُبْدعاً مُتفرداً ، كان" الرعدُ الجريحُ " كذلك ، فقد تحقق التفاعل منذ الوهلة الأولى باندماج موقف الشاعر بالموضوع ما جعل "الرعدُ الجريحُ " حقيقة قابلة للتأمل فيها ، فلولا التفاعلُ عمليةً كيميائيةً لما استطاع خليل حاوي التعبير عما في خلده من أفكار و مواقف نبيلة .

لقد تفاعلت عناصر القصيدة " الرعدُ الجريحُ" فيما بينها ، إذ هي مختلفة و متناقضة ، و بفعل كيمياء الخيال ائتلفت فصارت منصهرةً في بوتقة الخيالِ مشكِّلةً خيالياً مُبْدَعاً مُجسِداً حقائقاً تاريخيةً ،

---

[1] نبيل راغب ، التفسير العلمي للأدب ، م . س ، ص : 136 .

[2] شكري عزيز ماضي ، نظرية الأدب ، م . س ، ص : 224 .

[3] علي عبد المعطي محمد، فلسفة الفن ،م . س ، ص : 183.

و مؤكداً وُجودَ بطلٍ مُخلِّص للأمة العربية من كل جمود و فساد تعيشه ، هو الرعدُ الجريحُ باعتباره "حالة كيميائية نتاج تفاعل العديد من العوامل المختلفة ".[1]

و التفاعل عمليةٌ كيميائيةٌ تتجلي في قول خليل حاوي :

"كيف لا يحترقُ الليلُ و يفني

حين يلتفُّ على

رعدٍ جريحْ " [2]

لقد فاعل الشاعر بين ظاهرتين : طبيعية هي الرعدُ و ظاهرة إنسانية هي الجرحُ ، فشكَّل هذا التفاعل خيالياً متميزاً لا يكف عن الإيحاء ، يُدرك من خلاله تحول الرعدِ إلى بطلٍ منحوتٍ من صخر لا يتفتت إنه "الرعدُ الجريحُ" "المركب الجديد الذي ليس أحدهما و لا كليهما ".[3]

ومن الخياليِّ الذي جسده من وَحْدةِ المختلفين يتراءى لنا تلك المحنُ التي يتخبَّط فيها البطلُ ، فالمحن تصنع الأبطال .

كما تحقق التفاعل كذلك بين المختلِفات ، مما أدى إلى إيجاد وَحْدة الخياليِّ ممثلة في قول خليل حاوي:

"عادَ

غضَّاً و غضوباً مُتعاليْ

يحملُ الجرحَ الذي يترفُ

---

[1] عامر الدبك ـــ أوهام العبد الله ، الإبداع في دائرة الضوء ، دار الحوار ، اللاذقية ، سورية ، ط1 ، 1996 ، (حوار مع وليد إخلاصي) ، ص : 87

[2] خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م .س ص : 432 ، 433 .

[3] نعيم اليافي ، مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، م .س ، ص : 59.

جمراً و لآليْ " [1]

إن الخياليَّ " الرعدُ الجريحُ " لا يترف دماً ، بل يترف جمراً و لآلي ، هي الثورةُ المجيدةُ ، عبّر عنها خليل حاوي باللآلئ ، دلالة على الثورة النفيسة ، و التي حققت نتائج إيجابية على الرُّغم من جُرح البطل ، فجرحه القاتل هو الخيانة التي تعرض لها من قِبل القادة العرب المتواطئون مع الخبث الأجنبي .

كما أن الجرح هو النتيجة الحتمية التي تنبَّأ بها خليل حاوي ، فصدقت نبوءته ، كأنه كاهنٌ أو ساحرٌ، غير أنه شاعرٌ.

و بهذا فالرعدُ الجريحُ مركبٌ جديدٌ ناتجٌ عن تفاعل عناصرَ مختلفة ، مشكّلة وَحْدة الخياليِّ رؤيا مستقبلية محققة لأمل خليل حاوي في الانبعاث العربي، و النهوض، ضدَّ قُوى الشر رأسها أمريكا وجسدها إسرائيل و حلفاءها داخليا و خارجيا .

[1] م . س ، ص :432 .

5- فاعلية الصَّهر :

مَثَّل الواقع المتأزم الذي تعيشه الأمـــــــةُ العربيةُ من انتكاسات و هزائـــمَ على كل الأصعدة ، و السياسية ، والاجتماعية ، و الحضارية ، ...منهل الشعراء و مادتهم الخام للإبداع ، فهم "يمتلكون طريقة يعبرون بها عن آلامنا و يصوغون ثورتنا ضدَّ القيود ".[1]

و من المهتمين بواقع الأمة الشاعرُ خليل حاوي ، فهو يحملُ فكراً رافضاً السبات الذي تتخبط فيه آملاً في انبعاث عربي قريب ، فجاء بطلُه الخياليُّ "الرعدُ الجريحُ" مجسداً طموحه ، فكان خيالياً مُبْدعاً من مدركاتٍ عينيةٍ أُعدمت ثم أعيد تشكيلها بفعل كيمياء الخيال التي مكنته من مزج الأشياء بعضها ببعض .

لقد صهر خليل حاوي العناصر المختلفةِ ، جاعلاً منها وَحْدة في بوتقة خياله ، بعدما أفقدها هويتها، محولاً إياها إلي هَيُولى ، منها أبدع خيالياً علي غير مثال سابق .

هذا هو فعل كيمياء الخيال، فما" يبدعه الخيال يماثل المركب الجديد أو المزيج الكيماوي الذي تفقد فيه الأجزاء هويتها، المنفصلة من أجل أن تنصهر في جوهر جديد يتألف من هذه الأجزاء ولكنه يختلف عنها "[2].وهذا الفعل ذاته الذي يجعل من صهر الهَيُولى أبـــــداعاً إذ "الخيال يذيب و يلاشي و يحطّم ليخلق من جديد ".[3]

و قد تجسد الصّهر في عناصر القصيدة مشكلاً بهذا وَحْدةً ، و أكثر ما يظهر هذا الفعل الكيميائي في قول خليل حاوي "الرعدُ الجريحُ"، إذ أعدم الشاعر مدرك العيني الرعدِ الجريحِ ثم حوَّله إلى مادةٍ خياليةٍ منها تشكَّل "الرعدُ الجريحُ" خياليٌّ مُبدعٌ ، إلاَّ أنه لا يمكن أن يتشكّل دون المرور بالصهر ،

---

[1] أحمد درويش ،في نقد الشعر ، الكلمة و المجهر ، دار النهضة ،مصر ، (د . ط) ، 1993، ص : 107.

[2] عاطف جوده نصر ، الخيال مفهوماته و وظائفه ، م . س ، ص : 65 .

[3] علي هادي محمد الربيعي ، الخيال في الفلسفة و الأدب و المسرح ، م . س ،ص : 29 .

فقد أذاب خليل حاوي دلالة المفردة داخل الأخرى ،ليطلعنا علي حقيقة تاريخية ، و هي الخيانة التي تعرض لها البطلُ الخياليُ ، وماهي في حقيقة الأمر إلاَّ الخيانة التي تعرض لها البطلُ العربي العيني .

و قد تحقق الصهر من أمرين أحدِهما متعلق بذات خليل حاوي المُخَيِّلة الرعدَ الجريحَ بطـــلا فذاً وباسلاً ، و الأمر الآخر فموضوعي متعلق بواقع فاسدٍ تمثله شرائحُ خائنةٌ من المجمع العربي ، و منها: شاعر العصر ، و الملك المملوك ... فكان البطل الخياليُّ نتاج انصهار" الذات بالموضوع "[1]

كما يتجسد الصّهر في قول خليل حاوي :

" إنْ تكُ الرعدَ الذي يحدُو

صهيلَ النارْ " [2]

لقد أعدم خليل حاوي مفرداته ، الصهيل ، و النار وأوجد منهما ماهيةً جديدةً مغايرةً تماماً، بفعل كيمياء الخيال ، فصهر العناصر المختلفة حتى صارت وَحْدةً ذات دلالات موحية ، عبَّر بها عن قوةِ البطل و أصالته ، فالمعروف عن الحصان أصالته ، وكذلك النار باعتبارها رمز التجدُّد و التغيير ، و بالصهر تحوَّل صهيل النار إلى رمز للثورة الأصيلة ، رمزاً للبطل الخياليِّ الذي يطمحُ لتحقيق الانبعاث العربي .

كما يتجسد الصهر أيضا من خلال المشهد الشعري الذي جادت به قريحة خليل حاوي إذ يقول :

"في لُهاثِ الشمسِ والأرضِ

اغْتسلنا و غَسلنا

في بياضٍ لاهبْ "[3]

---

[1] أحمد درويش ، في نقد الشعر ، الكلمة و المجهر ،م . س ، ص : 94 .

[2] خليل حاوي ، الرعد الجريح ،ص :435 .

[3] م .س ، ص : 445 .

لقد صهر الشاعر دلالة اللهاث ، و الشمس ، و الأرض فـــأذاب دلالة المفردة في الأخرى ، ثم شكَّل بذلك مزيجاً لا يكفُ عن الإيحاء بالتصدي ، و الثورة الجيدة ، بعدما أعدم مدرك البياض دلالة طهارة و نقاءٍ ، و مدرك اللهاث ، دلالة جهد و تعبٍ .

و من هنا نُدرك السبل التي اتبعها البطلُ الخياليُّ في تحقيق الانبعاث الحضاري الذي لا ينال بسهولة ، فهو عرقٌ متصببٌ ، فبالصهر تحققت الثورة فكانت بياضاً لاهباً ، دلالة الحق و الطهارة ، و دلالة على قوة البطل الخيِّرةِ ، و نموذجا لأبناء الأمة الأوفياءِ .

و بهذا فقد تحقق" الصهر الكيميائي بين العوالمِ المتباعدةِ سعياً إلى صبِّها في عالم واحد "[1]، هو الخياليُّ " الرعدُ الجريحُ " ، كما تحقق بأبعاده الثلاثة [2]، حينما جعل الشاعر الألفاظ حاملةً أبعاداً دلالية لا تكفُ عن الإيحاء ، كما أن الألفاظ ذاتها تعبر عن مقاصد الشاعر، و مجسدةً الواقع بكل تفاصيله ، إضافة إلى أنها مُوجَّهَةٌ قصد التأثير في المتلقي ، و هو الشعوبُ العربيةُ كافةً ، الطامحةُ لانبعاث عربي أصيل .

و عليه فإن البطلَ الخياليَّ "الرعدُ الجريحُ " كائن غريبٌ ، و حالم ، و مجروحٌ ، كونُه يعيش جواً من دخان خنق أنفاسه الطيِّبة ، إلاَّ أنه لن يهزم إلى ، فهو نارٌ تتجدد علي الدوام ،إنه رعدٌ جريحٌ لا مثال له إلاَّ هو عينه .

و هكذا يبدو الصهر، فاعليةً كيميائيةً ،تمزج العناصر بعضها ببعض حتى يتحقق وجود الخياليِّ مثل :"الرعدُ الجريحُ " .

---

[1] أحمد درويش ، في نقد الشعر ، الكلمة و المجهر م . س ، ص : 91 .

[2] عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت ، لبنان ، ط5 ،2006 ، ص : 44.

6- فاعلية المزج :

تنشط كيمياء الخيال في الإبداع ، وفق ترتيب منطقي، زمني ، و المزج هو الفاعلية السادسة من فاعليات كيمياءِ الخيالِ .

بعد أن يُعدم الشاعر مدركات العينيات قصد إيجادها خيالياً متعاليا في الذِّهن ، من عناصر مختلفةٍ ، إذ يفاعل بينها ويصهرها ، ليُنتج خياليات أبداعاً لا أمثلةً سوابق لها .

و من هنا يكون للخيال أهمية عُظمي في عمليّة الإبداع عن طريق المزج ، باعتباره "تلك القدرة الكيماوية التي تمتزج بها ـــ معاـــ العناصر المتباعدة في أصلها و المختلفة كي تصير مجموعا متآلفا منسجماً".[1]

إن المزج فاعليةٌ كيميائيةٌ ، تبرز في قصيدة خليل حاوي "الرعدُ الجريحُ " الخياليُّ المشكَّل وَحْدةً صنعت تميزه إذ يقول الشاعر :

" دمُه النار التي تُحيي

عروقاً يبستْ فيها الخطايا "[2]

لقد تحوَّل الدَّم الذى يجري في عروق البطل ناراً تحي أجساداً تمادت في الخطايا ، قصد تحقيق هدفه النبيل و تخليص أمته العربية من فساد تتخبط فيه ، و السبب في ذلك شرائح عديدة مثلها خليل حاوي في : الملك المملوك ، و شاعر العصر ،و الرفيق ، و الرفيقة ... ،ولها ما يماثلها في الواقع العيني مثل : أنور السادات وغيره من الأفراد الذين فضلوا مصلحتهم الشخصية على حساب المصلحة العليا للأمة العربية ، فباعوا قيمها بأرخص الأثمان .

---

[1] غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، م . س ، ص : 412 .

[2] خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م . س ،ص :461 .

كما أن "الرعدُ الجريحُ " بطلُ خياليٌّ "حاصلُ تمازج أجساد خياليَّة مختلفة "[1]، ومنها: ذات خليل حاوي التي تفاعلت بواقعها الفاسدِ إيجاباً لا سلباً قصد تغييره و تحويله ، فيكونُ الانبعاث الحضاري ، الأمل المنشود الذى يطمح إليه الشاعر خليل حاوي .

كما حصل التفاعل بين ذوات عديـــــدة، إذ الخياليُّ مُبْدعٌ من" تمازج تيارات عديدة ذاتية وموضوعية ".[2]

لقد استحضر خليل حاوي صفاتِ النبي محمد(ص) ، و السيِّدِ المسيحِ إضافة إلى مدركات العينيات النباتية ،و الحيوانية ،و التجريدية ،إذ أعدمها حتى صارت هَيُولى، منها شكَّل الشاعر الخياليَّ" الرعدُ الجريحُ " بِدْعاً لا مثال له إلاَّ هو ذاته.

[1]السعيد مومني ، كيمياء الخيال ، التجلي و الفاعلية ، (لعازر عام 1962 لخليل حاوي) ، مجلة الجاحظية ، ع19 ، 2002 ، ص : 60 .

[2]م .ن ، ص .ن .

7- فاعلية التحويل :

يُعَّدُ التحويل فاعليةً من فاعليات كيمياءِ الخيالِ المُبْدعةِ ، فهي خطوة تسبق تشكيل الخياليِّ انطلاقا من الواقع العيني .

و نعني بالتحويل " تغيير حالة الشيء بحيث يصبح على حالة غير التي كان عليها ".[1]

و الخيال تلك القدرةُ التي من خلالها يتم تحويل المحسوسات من الواقع العيني إلى الواقع الذهني ، مروراً بفاعليات كيميائية ، صهراً ، ومزجاً ، و تحويلاً ، فتشكيلاً خياليات أبْداعاً .

و فعل التحويل، لا يتم بعشوائية، إنَّما هو عملية محسوبة لا تتحقق إلاَّ " بتدخل قُوي الإنسان المدركة و المتخيِّلة التي لها طاقةٌ تحويلية هائلة تصوغ بها الأشياء صياغة جديدةً و تكسبها وجوداً يختلف عن أصل وجودها و إن تولَّد عنه ".[2]

و بهذا يتأكد لنا أهميةُ فاعليةِ التحويلِ التي لا تقل أهميتها عن باقي فاعليات كيمياءِ الخيالِ الأخرى .

و بما أن العلاقة بين الإنسان و محيطه تفاعلية[3] ، فإنه يعمل على احتوائه بواسطة تحويله إلى معلومات يتمثلها و يحوِّلها إلى معرفةٍ[4] ، وقد يتحوَّل العالم خياليات في الإبداع الشعري ، فالأشياء الموجودة في الأعيان ، تحوَّلت خياليات في الأذهان. [5]

والتحويلُ فاعليةٌ كيميائيةٌ يتجلى في تشكيل البطلِ "الرعدُ الجريحُ" ، فقد تحوَّل الرعدُ الظاهرة الطبيعية إلى بطل خارقٍ و شجاعٍ ، و تحوُّله نابع من داخله ، كونُه يؤمن بقضية انبعاث الأمةِ العربيةِ

---

[1] محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، م . س ، ص: 43 .

[2] حمادي صمود ، في نظرية الأدب عند العرب ، م . س ، ص : 20 .

[3] عبد الإله سليم ، بنيات المشابهة في اللغة العربية ، مقاربة معرفية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2001، ص : 129

[4] م .ن ، ص . ن .

[5] حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، م . س ،ص :18.19.

و مخلِّصاً إنسانها من الفساد الذي يتخبط فيه ، متجاوزاً بذلك كلِ شرٍ يثني عزيمته ، فهو رعدٌ ، ونحن نُدرك ما تحمله هذه المفردة ، من دلالة حسية و نفسية ، وإن تجاوزت المفردة الدلالة المادية إلى أخري مُجرَّدة ، فالرعدُ ظاهرة طبيعية أُعدمت بفعل كيمياء الخيال و تشكَّلت بفعلها بطلاً رعداً جريحاً ، على غير مثال سابق و لا مثال له إلاَّ هو عينه.

و هكذا يصبح البطلُ الخياليُّ " وجود جديد مشتق من وجود سابق متحوِّل عنه "[1]. هو البطل العربي الذي تعرض للخيانة في حرب 1973 المجيدةِ .

كما تجسد التحويل من خلال مدركات العينيات العديدة و المختلفة التي شكَّلت البطلَ الخياليَّ مثل: " الرعدُ [2]،و الجرحُ [3]،و النبيُ- محمد صلي الله عليه و سلم[4]- ، و المسيحُ -عليه السلام [5]-، والأخطبوطُ[6] ،و النسرُ[7] ،و النبات الغضُّ [8]" .

لقد تحوَّلت هذه المدركاتُ العينيةُ جميعاً إلى خياليٍّ بِدْعاً، هو" الرعدُ الجريحُ" الذي أبدعه خليل حاوي بكيمياء خياله ، إنَّه مزيج بين الذاتي و الموضوعي ، ذات الشاعر، و النحن العربي .

و عليه فالرعدُ الجريحُ رمزُ كل إنسانٍ يحمل شعلة التغيير ، يُبْدعُ و يُتلقى بملكة الخيال ، ذات النشاط الكيميائي العجيب .

---

[1] حمادي صمودي ، في نظرية الأدب عند العرب ، م . س ، ص : 24 .

[2] خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م .س ، ص : 425 .

[3] م .ن ،ص .ن .

[4] م .ن ، ص 439 .

[5] م .ن ،ص : 459.

[6] م . ن ، ص :427.

[7] م .ن ،ص : 436 ،437 .

[8] م . ن ، ص :432 .

8- فاعلية التشكيل :

يرى يسكور أن "الفنان لا يُبدع كما يحيا ، و إنما يحيا كما يُبْدِع "[1]، أي أنه ينطلق من الواقع على النحو الذى يعيد فيه تشكيل و إبداع هذا الواقعِ من جديد، كوجود جديدٍ لم نلتق به من قبل و لن نلتمس له وجوداً خارج الخياليِّ .[2]

و التشكيل هو الفاعلية الثامنة من فاعليات كيمياء الخيال ، حسب ترتيبها المنطقي، الزمني، في عملية الإبداع الفني ، بها يُوجد الخياليُّ حقيقة قابلة للتذوق

و هكذا فلا يمكن أن يستقيم الأثر الخياليُّ دون فاعلية التشكيل ، حيث " إنه العامل الأساس في أيِّ عملية إبداعية ، و بفقدانه تفقد القصيدة [الأثر الخياليُّ] الكثير من مبررات وجودها "[3]. فبه تستوي الخياليات أبداعاً .

و يتحدد التشكيل باعتباره نشاطاً ذهنياً من أنشطةِ كيمياءِ الخيالِ ، بصهره العناصرَ المتباعـــــــــدة و المختلفة ، و مزجها في بوتقة الخيال ، ثم المفاعلة بينها فتتألف وَحْدَةً منسجمةً خلاصتها التشكيلُ .

و بهذا يصبح التشكيل مصطلحاً أدبياً مكافئً و معادلاً للأثر الفنيِّ [4]، فهو كلٌ متكامل غير قابل للتجزئَة ،وتلقيه يكون بوصفه وَحْدَةً .

و إذا كان الشعر انبعاثاً[5]،فإن خليل حاوي سعى إلى تشكيل خياليٍّ، رمز الانبعاث العربي، مُخلِّص الأمة العربية من فسادٍ بسط ضلاله على الواقع العربي منذ زمن بعيدٍ ، وهذا البطل الخياليُّ هو " الرعدُ الجريحُ " .

---

[1] غادة الإمام ، جاستون باشلار ، جماليات المكان ، م . س ، ص : 370.

[2] م . س ، ص . ن .

[3] صلاح عبد الصبور ، حياتي في الشعر، مج3 ، دارالعودة، بيروت ،لبنان ، ط2 ،1977 ، ص : 31.

[4] نبيل راغب ، موسوعة الإبداع الأدبي ، م . س ، ص : 251 .

[5] أحمد درويش ، في نقد الشعر ،الكلمة و المجهر ، م .س ،ص : 106 .

و يظهر تشكيل الخياليِّ "الرعدُ الجريحُ" لخليل حاوي ،من خلال المختلِفَاتِ التي أوجدته بِدْعاً على غير مثال سابق ، حيث تحوَّل من عيني إلى مُجرَّد ، وبالتشكيل ،فاعلية كيميائية، استوى خيالياً مُبْدعاً نلمح فيه كل فاعليةٍ كيميائيةٍ من عدم، وإمكان ،واختلاف ،وصهر، و مزج ، وتحويل ، و تشكيل ، إذ لا تكتمل هوية الخياليِّ ، إلاَّ بتفاعل هذه العناصر كلها .

إن البطل الخياليّ " الرعدُ الجريحُ "إنسانٌ و ليس بإنسان، فمادته التي تشكَّل منها كثيرة و مختلفة ومنها : الإنسانية ، و الطبيعية ، و النباتية ،و الحيوانية ، و التجريدية .

و لقد تشكَّل الخياليُّ "الرعدُ الجريحُ"من مفارقة تبدو مضلِّلة ، فالرعدُ ظاهرة طبيعية ،يرمز للخير ، والجرحُ ظاهرةٌ إنسانيةٌ تبدو ظاهرياً سلبيةً ،و بالمفاعلة بين الدلالتين الإيجابية و السلبية ، أفضي إلى تحويل الدلالات و انحرافها عن المألوف ، ممّا غير الأبعاد والدلالات ، فتحوَّل الإنسان العادي بطلا مغواراً . و بامتلاك خليل حاوي ملكة الخيال بفاعلياتها الكيميائية حوَّله من العدم إلى التشكيل، فوُجِد مُبْدعٌ حقق جمالاً ، فالفن حسب تعبير "غوته" : الفن تشكيلاً قبل أن يكون جمالاً [1]، إذ التشكيل قدرة فنية لدى الفنان.[2]

كما تمكّن خليل حاوي بفعل كيمياء خياله من تشكيل خياليّه " الرعدُ الجريحُ " فحوَّله من كثرة إلى وَحْدةٍ ، تقوم بصهر عناصرها بعضها ببعض .

و يتحدد التشكيل بوصفه فاعلية كيميائيةً مشكَّلة من عناصر متفردة لإعادة جمعها في كل متماسك وهو ما تحقق في خياليِّ خليل حاوي ، باعتباره مشكلاً من مدركاتٍ عديدةٍ ، و هو ما يظهر في قوله :

" أخطبوطاً في محارهْ " [3]

---

[1] صلاح عبد الصبور ، حياتي في الشعر ، م . س ، ص : 56.

[2] م . ن ، ص :49 .

[3] خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م . س ، ص : 427 .

لقد جعل الأخطبوط عنصراً كيميائياً مشكلاً "الرعدُ الجريحُ " ؛ إلاَّ أنه ليس أخطبوطاً ، فقد تحوَّل بفعل كيميائي إلى رعد بطلٍ ، محملٍ بدلالات منها القوة ، فالمعروف عن الأخطبوط قوته ، التي تفاعلت مع أنا الخياليِّ ، فكان بطلاً خيالياً متفرداً .

و بذلك فإن المدرك العيني للأخطبوط تحوَّل بفعل كيمياء الخيال المُبْدِعة إلى مادة خياليةٍ في الذهن ، ثم أعيد تشكيلها .

كما يتجسد تشكيل الخياليّ " الرعدُ الجريحُ " في قول خليل حاوي :

" غَير نسرٍ ما يزالْ

يتملَّى العمرَ

أعماراً طوالْ "[1]

فالرعدُ الجريحُ بطلٌ خياليٌّ ، هذه المرة نسرٌ يستقر في الأعالي ، مُبْدعٌ مثله مثل الأخطبوط .

ومن هنا يكون البطل الخياليّ "الرعدُ الجريحُ " مشكَّلٌ بطريقة إبداعية ، و تشكيله كان بتفـــــاعل " جسد أو عدَّة اجساد لتشكيل جسد شعري [خياليٍّ] جديد "[2]

إذ خليل حاوي :

" و تصفَتْ دوحةُ الصحراءِ

في فرعٍ أصيلْ " [3]

إلى أن يقول على لسان الأمة / الأم :

---

[1] خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م . س ، ص : 436 ،437 .

[2] السعيد مومني ، كيمياء الخيال التجلي و الفاعلية ، م . س ، ص ، : 60

[3] م . س ،ص : 439 .

" ولدي ليسَ المسيحْ " .[1]

فمن الفرع الأصيل ، ومن المسيح تشكَّل الخياليُّ مبدعاً ، على غير مثال سابق ’فقد حمله خليل الشاعر صفات كثيرة ، منها ما هو للبشر ؛ أنهم غير عاديين ، الأمر الذي جعل من الخياليِّ مثالاً يقتدى به لتحقيق الانبعاث العربي الذي يطمح إليه خليل حاوي و كان من أجله يحيا و يموت .

كما تشكل البطل الخياليُّ من كل ذات غيورة على عروبتها ، تأمل في الانبعاث العربي مثل الفدائيِ الفلسطينِ ،و الزعماءِ العربِ ، فذكرهم واجب علينا مثل : جمال عبد الناصر ،و هواري بومدين ،والملك الفيصل ، ... و غيرهم من العظماء ، إضافة إلى ذات خليل حاوي ، باعتباره منبع الخياليّ "الرعدُ الجريحُ " المعادل لصوته الداخلي ؛ بل إن خليل حاوي " يعيد تشكيل صفاته " [2]

كما تشكّل الخياليّ" الرعدُ الجريحُ " من مدرك النبات العيني ، وهو ما يتجسد في قول الشاعر :

" عادَ

غضاً و غضوباً متعالِْ " [3]

فالمادة المشكِّلة للخياليِّ نباتية ، و هي" مادة قابلة للتشكيل "[4] ، فالبطلُ الخياليُّ غضٌ فتيٌ ، لكنه غضوب ، إن صهر المفردة داخل الأخرى ، يزيد من قوة المعنى، ويحيلنا على صفةٍ من صفات البطلِ ، منها قوة لا يتصف بها إلاَّ الأبطال. إنه باسلٌ فتيٌ و غاضبٌ ، و في غضبه نقمةٌ على الوضع المعيش الذي يطمح خليل حاوي إلىتغييره، و طموحه انبعاث عربي طال انتظاره.

و عليه فإن البطل الخياليَّ تشكّل بإبداعية فهو مبدعٌ لا مثال له إلاّ ذاته ، ولا مثال سابق و لا لاحق له.

---

[1] م .ن ، ص : 459 .

[2] أحمد درويش ، في نقد الشعر ، الكلمة و المجهر ، م . س ، ص : 107 .

[3] خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م .س ، ص : 432 .

[4] عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1966 ، ص : 49 .

يبدو من النماذج العديدة أن الخياليَّ و طبيعته الكيميائيةَ، من تشكيل ملكة الخيال المبدعة التي جعلت الرعدَ الجريحَ ،يتميز بخصائص ميزته من سواه ، فجعلته مُبْدعاً و منها : الإبداعيةُ ،و الوَحْدَةُ ، والجِدَّةُ، و الجمالُ ، و الخلودُ .

الفصل الثالث

كيمياء الخيال وخصائص الرعد الجريح .

يحفل الرعدُ الجريحُ بجملة من الخصائص التي جعلت منه خيالياً بِدْعاً و متفرداً لا مثال له إلاّ هو عينه ، و من أهم هذه الخصائص : الإبداعيةُ ، و الوَحْدةُ ، و الجِدَّةُ ، و الجمالُ و الخلودُ .

1 ــ الإبداعية :

تتحكم في العمل الفني مجموعة من القيم و المعايير التي تعطيه ماهية و خصائص نوعية ميزته من غيره ، و هذا ما يعرف بالإبداعية ، كونُها سمة للإبداع الفنيّ .

و مصطلح الإبداعية " نسبة إلى الإبداع ، والذي هو أسلوب جديدٌ للتعبير الفنيِّ و الأدبيِّ يتسم بالجِدَّة و الابتكار " [1]يحمل خصوصيات فنية و جمالية تحيل على وصف الخياليّ بأنه بلغ مرتبة الإبداعية،والتي تُعرف بأنها ظاهرة تمنح الخطاب الأدبي فرادته.

و يرجع أصل كلمة الإبداعية "La poétique " إلى أرسطو طاليس ، والذي كان يعني بها" كل مبتكر مُبدع فيه جديد ، يستدعي الدهشة و التأثير في المتلقي ". [2] و قد تحققت الإبداعية سمة بارزة في قصيدة " الرعدُ الجريحُ "، فالبطل الخياليّ مبدعٌ كونُه إضافة حقيقية لثقافة المتلقي " فهو عمل لا يكرِّر الواقع أو يقلده ، و إنما هو بطبيعته الإبداعية إضافة تجديدية إلى الواقع ". [3]

إن الرعدَ الجريحَ مبدعٌ من عدم ، إذ لا مثال له ، إلاّ هو ذاته ، كما تشكّل من مختلفين هما الرعدُ الظاهرة الطبيعية ، والجرحُ الصفة الإنسانية ، و هذا لا يصدق إلاّ بمنطق الخيال .

---

[1] محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط2 ، 1999، ص : 16 .

[2] يوسف وغليسي ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ط1 2008 ، ص : 272

[3] عبد الله الغذامي ، الموقف من الحداثة و مسائل أخري ، جدّة ، السعودية ، ط، 1991 ، ص : 138 .

و أول سمة إبداعية تتجلى من العنوان " الرعدُ الجريحُ " كونه يخرق المألوف و المعتاد ، إذ " الشعرية [الإبداعية] تقوم على اختراق المألوف الصياغي أو الدلالي ، وهو ما اصطلح عليه أسلوبياً بالانحراف "[1]

و بهذا فإن " الرعدُ الجريحُ " بطل خليل حاوي الخياليّ، و المشكّل بطريقة إبداعية كما تخيَّله ، فهو مخلِّص الأمة العربية من فسادٍ و جمود تتخبط فيه .

كما أنه نموذج كلّ ذات تطمح إلى تغيير قدرها ، فالبطل " الرعدُ الجريحُ " لا تحدُّ همته أيّ سلطة كانت ، إنه البطل الخياليّ الذي لا مثال سابق له إلاّ هو عينه.

كما تتجلى إبداعية البطل في تشكله من مختلفاتٍ عديدة ، حيوانية ،و نباتية ،و إنسانية ...، وطبيعية ، أعدمها خليل حاوي ، و أفقدها إنيتها ، ثم جعل منها وجود جديدٌ تماما عن سابقه فكان يتصرف بصدق و عفوية و حرية ، ما أتاح له تحويل الكلمات من مجرد ألفاظ معجمية إلى أخرى موحية و زئبقية تسمح للقارئ أن يغوص في معانيها متذوقاً و ناقداً بارعاً .

و من هنا كان " الرعدُ الجريحُ " بطل مبدع خرق ما صـــــدق الإنسان ، كونُه إنسان و ليس بإنسانٍ ، فهو رعدٌ ،و نسرٌ ، و أخطبوطٌ ، ومسيحٌ ، و نبيٌّ ...

وقد تحقق الخياليّ بِدْعاً عبر نشاط كيمياء الخيال ، و التي تمكن الشاعر من الإبداع ، و هو ما يظهر في قول خليل حاوي :

"كيف لا يحترقُ الليلُ و يفنى

حين يلتفُّ على

[1] محمد عبد المطلب ، هكذا تكلم النص ،استنطاق الخطاب الشعري لرفعت سلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(د. ط) ، 1997 ، ص : 30

رَعدٍ جريحْ "[1]

فالبطل الخياليُّ قوي يافع على الرُّغم من جرحه الذي سببته الخيانة الداخلية و الخارجية ، إذ تحترق قُوى الشر و تفنى حين تلتف حول الرعد الجريح .كما أن صورة البطل جاءت مبدعة و خاصـــــة متفردةً من سواها ،إذ يقول خليل حاوي " كانت صورة البطل مفاجئة لي بقدر ما كانت مفاجئة لغيري "[2]فهو " حالة فوق عادية " .[3] و عليه فإن البطل الخياليّ حقق إبداعية و جمـــــــالاً غير منتهيان، جاد نتاج تفاعل مختلفات توحدت فكان "الرعدُ الجريحُ "بِدْعاً لا مثال سابق و لا لاحق له.

[1] خليل حاوي ،الرعد الجريح ، م . س ، ص : 432 ، 433.

[2] خليل حاوي ، تقديم الرعد الجريح ، م . س ، ص : 423.

[3] خليل موسى ، جماليات الشعرية ، م . س ، ص : 365 ، 366.

2 ــ الوَحْدة :

يقول شلنج : " إن العضوية [الوَحْدة] أرفع إمكانات الطبيعة و الفن مضارع العضوية ، أرفع إمكانات المطلق "[1] الموجود في الذهن .

و الوَحْدة هي أن يكون الشيء واحدٌ في طبيعته على الرُّغم من كثرة مظـــاهره ، بحيث تكون كلاً متماسكاً .[2]

و الخيال ملكةٌ مبدعةٌ عبر فاعلياتها الكيميائية هي ما يحقق وَحْدة الخياليِّ ، باعتباره نسيجاً عضوياً لا يقبل الانفصال أوالتجزئ .

و بهذا فإن الوَحْدة شرط ضروري في تشكيل الخياليِّ المُبدَعِ ، بها تكتمل عبقرية المبدِع ، بل فإن العمل الفني لا بد أن تكون له وَحْدة عضوية شأنه في ذلك شأن الكائن الحيّ .[3] من هنا يظهر فعل الكيمياء في التشكيل الفني .

و قد كان خليل حاوي يعي جيداً دور الوحدة في تشكيل الخياليات الأبداعِ المتفردةِ .

و باعتبار الوَحْدة سمة فنية تشكِّل خياليات أبداع متفردة ، فكان" الرعدُ الجريحُ" بطلاً مشكّلًا من وحدةِ اختلاف مثل النسر و الأخطبوط و النبيّ إذ الوَحْدة تكون قوية بقدر أجزائها في ذاتها على حد تعبير أرسطو طاليس .[4]

---

[1] خليل موسى ، مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة ، أطروحة استكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية ، جامعة دمشق ، سورية ، 1981ص: 46 .

[2] محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، م . س ،ص : 179 .

[3] أميرة حلمي مطر ، فلسفة الجمال ، م . س ، ص : 20 .

[4] غنيمي هلال النقد الأدبي الحديث الهامش ،م . س، ، ص : 65 .

كما أن عناصر الخياليّ " الرعدُ الجريحُ تفاعلت ، و تصاهرت ، و تمازجت ، فلم تكن مركبة أو مجتمعة جمعاً بارداً لا حياة فيها " إذ هي نابجة عن وَحْدة تفاعلية "[1]، بل هي و حدة إبداعية . [2]

وهو ما يظهر في قول خليل حاوي :

"و كفانا أن نرى

في الجبهة السمراءِ

ما صحو الجبالِ المطمئنهْ " [3]

هذا الاختلاف يشكّل وَحْدة كلّها مواجهة و بطولة و نقاء ، هي البطل الخياليّ " الرعدُ الجريحُ" دلالة عروبة و أصالة .

و مادام الرعدُ الجريحُ نتاج اجتماع متناقضات ، فهذا لا يكون إلاّ نتيجة تميز المبدِع ، فخليل حاوي صاحب فكر و رؤيا ، ما جعله يخيِّل بطله بهذه الحالة المتميزة ، فالبطـــل الخياليّ أقرب إلى المثالية ، كونُه "مجمع المتناقضات "[4]،توحدت فأوجدته بطلًا لا يوجد في ذهن المبدِعِ إلاّ بالتخيل ، و لا يتلقى إلاّ بالتخييل .

و هذه الوحدة التي أوجدها الشاعر ذات غاية مقصودة منه ، فهي كانت كذلك ليكون البطل المخلِّص للأمة العربية و المحقق للانبعاث العربي .

و بهذا تكون الوَحْدة خصيصة تجعل من الخياليِّ المبدعِ و الجديد ، والذي لا مثال له إلاّ هو ذاته .

---

[1] خليل موسي مفهوم الوحدة العضوية في القصيدة العربية الحديثة ، م . س ، ص : 40

[2] م .ن ، ص . ن .

[3] خليل حاوي الرعد الجريح ، م . س ، ص : 444

[4] مصطفى ناصف ، نظرية المعنى في النقد الأدبي ، م . س92 .

3- الجِدَّة :

لقد جرت عادة الشعراء أن يجعلوا من أحداث الواقع ، منهل انفعالاتهم و تجاربهم الإبداعية ، انطلاقاً من تجارب يعيشونها ، فتتفاعل ذواتهم الشعرية بالواقع المعيش ، فينصهر بعضها ببعض ، ما يتيح إنتاج أدب متميزٍ و جديدٍ كل الجِدَّة .

و الجِدَّة سمة إبداعية في كل الآداب و الفنون ، لا تقل أهميتها عن باقي خصائص الإبداع .

لقد جاء تعريف الجِدّة في لسان العرب لابن منظور بمعني : " الجِدَّة نقيض البَلى ، يقـــــال شيءٌ جديدٌ ، و الجمع أجِدّة ، و جُدُدٌ ، و جُدَدٌ ...، و الجِدّة مصدر الجديد " . [1]

كما جاء تعريفها في المعجم الأدبي ، فهي : " إتيان بالشيء الذي لم يُؤت بمثله من قبل ، و يتحرر من أسرار المحاكاة ، و النّقل و الاقتباس ، و اجترار القديم ، وقد تتمثل الحداثة في الأسلوب ، أو في المضمون ، أو في الاثنين معاً ، فيكون صاحبها مُبْدعاً " .[2] إذ من خلال تعريف الجِدّة وضعاً نخلص إلى أنها قرينة الإبداع و الابتكار، و الإتيان بالجديد الذي لم يسبق إليه أحد ، و معني هذا أن الإبداع شعراً كان أم نثراً ، جديد نوعه و ميزة ذاته .

إن الجِدّة بهذا المعني رؤية مستقبلية للعالم و الكون ، إذ تتجاوز ثنائية القديم و الجديد ، إلى إبداعية الإبداع و تفرده من سواه .

و على كل حال فإن الخيال بفاعلياته الكيميائية ما يمَّكِن الشـــاعر من إيجاد المُبْدَعِ الجديدِ كلّ الجِدّة ، إلاّ أنه لا يكون مُبْدعاً إلاّ إذا كان حراً .

و سنجتزئ لإبراز الجدّة سمةً من سماتِ الإبداع الفنِّ ، من خلال الخياليّ "الرعدُ الجريحُ "، فهو جديدٌ و متفردٌ كونه ليس مجرّد نقل واقع إنساني و حضاري ، إنما هو " الواقع و الرؤيا ، أو القصيدة

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، (ج .د. د) مج3 ، دار صادر، بيروت ، لبنان ،(د .ط) ، (د .ت)، ص : 126 .

[2] جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، م . س ، ص : 85 .

الحياة "[1]. فخير ما يعرف به الشعر أنه رؤيا[2].

وتظهر الجِدّة سمةً بارزة بدءاً من عنوان القصيدة الموسومة بـــ" الرعدُ الجريحُ"[3] هذا هو خياليٌّ خليل حاوي المتفرد و الحداثيّ ، فلا مثال له إلاّ هو ذاته ، كونه رعداً لكنه جريحٌ ، كما أنه تحوَّل من بطل جريحٍ إلى بطلٍ مقاومٍ و صامدٍ ، اكتسب من الضُّعف قوة ، و هذا في سبيل بعث الأمة العربية ، فهو سبيلها للخلاص .

والجِدّة في الشعر تعني وعي الواقع ، و تملُّكه جمالياً ، و تجاوزه عن طريق النموذج الفنيّ [4] المتفرد وهذا لا يتأتى إلاّ بملكة الخيال و بفاعلياتها الكيميائية ، ما يشكل الخياليّ الذي يُوجده شاعر متمردٌ و حالمٌ مثل خليل حاوي .

و لقد خيَّل خليل حاوي "الرعدُ الجريحُ " بطلاً رمزاً للثورة على الواقع الفاسد، حيث شكَّله من مدركات العينيات المختلفة ، من خلالها جعل خياليه ، حديثاً و جديداً كلّ الجِدّة .

كما يتمثل جديده أيضا في جعله خيالِيه " الرعدُ الجريحُ " بطلاً خاصاً و مبدعاً لا مثيل له ، فكل مرّة يخيِّلُه بهيئة مغايرة ، إذ يقول :

" و تهلّلنا و مجَّدْنا

جراحَ الرعدِ

مجّدنا لآلي الرعدِ " [5]

إلى أن يقول :

---

[1]أدونيس (على أحمد سعيد)، زمن الشعر، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط3، 1983 ، ص : 23.

[2]م . ن ، ص : 09.

[3]خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م . س ، ص : 425.

[4]أوهام الدبك ، الإبداع في دائرة الضوء ،م . س ، ص : 43.

[5]م . س ، ص : 449 .

" العريسُ الغضُّ "[1]

و بهذا فإن خيالِيّ خليل حاوي جديدٌ تماماً ، و جِدّته جِدَّة كينونة لا جِدّة زمن كونُه وحيـــــد نوعه ، فهو " التحقيق دون نموذج ، الإبداع نموذج ذاته ".[2]

4 ــ الجمال :

الجمال نزعة فطرية في الإنسان كونه من بين الكائنات جميعاً الذي يعشق الجمـــال و يطلبهُ ويتأثر به ، فإذا كانت آيات الجمال في الطبيعة من خلق الله عزّ وجلّ ، فإن آيات الجمال في الفن من إبداع الفنان . [3]

و الجمال لغة :"مصدر الجميل ، و الفعل جمل فهو الحسن و البهاء ،و الجمال بالضم و التشديد يعني أجمل من الجميل " [4]

أما اصطلاحاً فهو : صفة للأشياء ، تبعث في النفوس السرور و الرضا و القبول ، وهو أحد المفاهيم المعيارية الثلاثة : الجمال ، و الحق ، و الخير .[5] و هذا ما جعله غير قابل للبرهنة . [6]

---

[1] م . ن ، ص : 460.

[2] أدونيس (على أحمد سعيد) ، فاتحة لنهايات القرن ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ص: 329.

[3] علي عبد المعطي محمد ، المناهج و المذاهب و النظريات ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ،(د .ط)، 1994 ، ص :07 . نقلا: مديونة صليحة ، المحاكاة بين الفلسفة و الشعر ، أطروحة استكمال متطلبات الماجستير في اللغة العربية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، 2006 ، ص : 119.

[4] ابن منظور ، لسان العرب ،(ج .م .ل)،مج 11،م .س ،ص : 126.

[5] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1 ، م . س ، ص : 407 .

[6] عبد الملك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، م .س ، ص :69 .

كما أن الجمال هو " ما يثير فينا إحساساً بالانتظام والتناغم و الكمال ، و قال بعضهم الجمال هو النجاح في التأويل الإنساني للطبيعة. [1]

و قد كان للأدباء العرب آراء في الجمال مثل صادق الرافعي ، فهو ينظر له من ناحيتين ، حسنه في ذاته ، و حسنه في خياله الذي يجعله أسمي من ذاته [2]

و بهذا فإن الجمال الذي نتكلم عنه ، لا يعني الشيء الجميل فقط ، فحتى القبيح يتحوّل بالإبداعية إلى جماليٍّ " فالكائنات التي تقتحمها العينُ حينما تراها في الطبيعة تلذُّ لمشاهدتها مصوّرة إذا أحكم تصويرها ، مثل صور الحيوانات الخسيسة و الجيف ". [3] أي جمال الخياليً

و لا يحصل الأثر الفني إلاّ بقدرة الخيال و بفاعلياته الكيميائية ، حين يكشف عن الجمال الكامن في باطن الأشياء عن طريق الإبداع ، فيكون جديراً بأن يبلغ درجة الجمال .

و باعتبار الجمال خصيصة من خصائص الخياليِّ ، تشكل" الرعدُ الجريحُ "بطلاً خيالياً مُبدعاً على غير مثال سابق أو لاحق ، فهو ميزة ذاته ، ذلك أن الجمال مقصور على عالم الخيال ، أما الواقع فلا جمال فيه . [4]

و من هنا يكمن جمال البطل " الرعدُ الجريحُ " كونُه خيالياً بِدْعاً ، يسمو على العينّ و يعلو عليه .

كما أن البطل الخياليّ جماليٌّ ، و هذا يتجلى في قول خليل حاوي :

" ألنجومُ انسحبتْ

خلف شهابٍ أحرق الليلَ

---

[1] جبور عبد النور ،المعجم الأدبي ، م . س ، ص : 85 .

[2] مصطفي صادق الرافعي ، أوراق الورد ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، مصر، ط 8 ، 1967 ، ص : 60.

[3] أرسطو طاليس ، فن الشعر ، م . س ، ص : 12 .

[4] محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث م . س ، ص:414 .

و غابْ " [1]

فالبطل ، هذه المرَّة تجاوز أن يكون رعداً جريحاً ، فتشكّل شهاباً ، نجماً مضيئاً ، نوره مبسوط على الأمة العربية جمعاء ، وهو مستقر في الأعالي ، فالشهاب إنسان يقهر و يغيِّر و يحرق ، فيحوِّل الظلام نوراً ، ليكون المنتصر الخالد .

و لقد خيّل خليل حاوي البطل " الرعدُ الجريحُ " بِدْعاً متفرداً مستخلصاً من كثرةٍ "فالجمال هو الوَحْدة التي تلمح من خلال الكثرة "[2]،فالرعدُ الجريحُ بطلاً خيالياً مشكّلاً من مدركات العينياتِ الكثيرة و المتنوعة و منها : الإنسانية مثل الحيّ الجريـــح ، و الطبيعية الرعد ، و أما الحيوانية فهي النسر ، و الأخطبوط ، و أما النباتية فيمثلها النبات الغضُّ إضافة إلى الجمادية مثل : القوة و الصلابة التي يمتلكها الصخر، كلّها أعدمها خليل حاوي بفعل كيمياء الخيال ثم حققها بفعلها أيضا بِدْعاً لا على مثال سابق.

و بهذا فقد حقق خليل حاوي بطله "الرعدُ الجريحُ" حينما أحسن استغلال معدومات العينيات ، فالجمال الإبداعي " ليس في الكلمة بحد ذاتها ،و إنما في طريقة استخدامها فالجمال هو الإبداع " [3]

و لما كان للفن غاية سامية تتجلى في التأثير في المتلقي و حفزه و تعليمه ، كان الرعدُ الجريحُ مشبّعاً بهذه الوظائف ، وهذا قصد تحقيق جماله المنشود ، فالفن وُجِد كي يوقظ فينا شعور الجمال .

---

[1] خليل حاوي الرعد الجريح ، :450.

[2] عبد الكريم اليافي ، دراسات فنية في الأدب العربي ،مكتبة ناشرون ، بيروت ،لبنان ، ط1 ، 1966 ، ص : 47

[3] فاتح علاق ، مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، (د. ط)، 2005 ، ص : 212

و باعتبار الشعر نوعاً من الإبداع فإنه فن " رؤية الجمال " [1]عبر "كيمياء الجمال "[2] التي يتصرف فيها فنان و شاعر بفعل كيمياء الخيال ، و التي تتيح إبداع خياليٍّ جماليٍّ .

فخليل حاوي جسد خياليّه مثالاً للعفة و الصبر ، التي دعا من خلالهما بصوت عالٍ ، أن تكون صفات الأبطال في الزمن الحاضر ، حيث غابت القيم و المبادئ فتطلع إلى كلّ ما يحقق الجمال ، فلا غرابة أن يقرن بين الذاتي و الموضوعي ـــ ذات خليل حاوي و الواقع المعيش ـــ في تشكيل الخياليِّ " الرعدُ الجريحُ " مبدعاً من كثرةٍ ، ما حقق إبداعيته و جماليته ، وهذا لا يتحقق إلاّ للشعراء باعتبارهم " أنبياء الجمال ".[3]

و المتأمل في الإبداع عموماً و الشعر خصوصاً ، متذوقاً ، يجدُ نفسه مصاباً "بعدوي الجمال الموجودة جراثيمها في العمل الفنيِّ ". [4] و بهذا تتحقق الغاية المنشودة من الفن ، كونُه يطمح إلى الإثارة و الإعجاب و التعليم و حتى التغيير ، فالرعدُ الجريحُ يتجاوز إمتاعنا جمالياً ، فيثير فينا صحوةً عربية قائلاً: فلتنهضوا يا أبناء الأمة العربية من سباتكم العميق ، فالزمن تجاوزكم و أنتم نيام .

و يكفي أن نذكر قول سقراط في الجمال " فالأشياء الجميلة صعبة دائماً " [5]. و هذا هو الخياليُّ " الرعدُ الجريحُ " ، بطلاً صعباً كونُه لا يدرك إلاّ بالخيال.

---

[1]غادة الإمام ، غاستون باشلار، جماليات الصورة ، م . س ، ص : 371.

[2]شفيق البقاعي ، الأنواع الأدبية مذاهب و مدارس ، مؤسسة عز الدين للطبـــاعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985 ، ص : 23.

[3]صادق الرافعي ، رسائل الأحزان ، دار الصحوة ، القاهرة ، مصر،ط1 ، 2008 ، ص :145 .

[4]سيد صديق عبد الفتاح الجمال كما يراه الفلاسفة و الأدباء ن دار الهدى للنشر و التوزيع ، القاهرة ن مصر ، ط1 ، 1994 ، ص : 416 .

[5]مارك جيمنيز، ما الجمالية ، تر. شربل داغر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المنظمـــة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،2009 ،ص : 255.

5 ــ الخلود :

سبق الحديث عن سمات و خصائص العمل الفنيّ ، التي تصنع منه خيالياً متميزاً ، و هي كثيرة استثنينا منها بعضاً مثل : الإبداعيةُ ، و الوَحْدةُ ، و الجِدّةُ ، و الجمال ،و كلها خصائص جعلت من الخياليِّ يحقق استمراريته و خلوده .

لقد ورد معني الخلود في لسان العرب من : " خَلَدَ ، الخُلد، دوام البقاء في دار لا يخرج منها خلد ، يخلدُ ، خُلداً و خلوداً ، بقي و أقام ، و دار الخُلد : الآخرة لبقاء أصلها فيها .

و خَلَدَ ، يخلُدُ و يَخلِدُ ، خُلْداً و خلوداً ، أبطأ عنه الشيب كأنما خلق ليخلُد ".[1] وهو التعريف ذاته الذي جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا ، والمعجم الوسيط.

و بهذا فإن التعريف الوضعيَّ للخلود لم يخرج عن معني الدوام و البقاء ، سواء تعلق بحياة الأشخاص أو بحياة الأعمال الفنية .

و يبقي مفهوم الخلود واحداً و إن تعلق بالإبداع الفنيّ ، ذلك أن العمل الأدبي الجيِّد ملك مشاع يمتد من جيل إلى آخر ، فكل جيل يغذيه بغذاء خاص .[2]

و سر خلود الأثر الفنيّ بكل بساطة أنه مُشَبعٌ بالدلالات فكل جيل يقرؤه قراءات مختلفة [3]" فالفن العظيم لا يفني أبداً فهو يَنْقلُ إلى جيله معنىً واضحاً ، و لو نسبياً ، بينما يحتفظ للأجيال الأخرى بمجموعة من المعاني الخفيَّة ". [4]

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب (خ .ل .د) مج 3، م . س ، ص : 164 .

[2] كريب رمضان ، فلسفة الجمال في النقد الأدبي ، مصطفى ناصف نموذجا، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر العاصمة ،الجزائر، (د.ط)، 2009 ، ص : 127 .

[3] م . س ، ص : 129 .

[4] م . ن ، ص . ن .

و لَّما كان الخلود سمةً في الخياليِّ تميِّز الأثر الفني،وتجعل منه فناً عظيماً متميزاً و خاصاً لا مثال له إلاّ هو ذاته ، و الأثر الفني لا يكون خالداً ما لم تتوفر فيه خصائص مثل : الإبداعية ، والجِدَّة ...، و الخلود ، فكلّها خصائص توفرت في "الرعدُ الجريحُ "بطل خليل حاوي الخياليَّ ، فبها خلَد و كان مثال نفسه و لا مثال له إلاّ هو ذاته .

لقد خيَّل خليل حاوي بطله الخياليّ " الرعدُ الجريحُ " من خلال مفاعلةٍ كيميائية، إذ جعله طائر العنقاء فيقول :

" كيف تدْري

ما يعاني كلُّ حيٍّ

صيغَ من طينٍ و ماءْ ؟

غَير نسرٍ ما يزالْ

يتملّى العمرَ

أعماراً طِوالْ " [1]

تأخذ كلمة العنقاء / النسر بؤرة دلالية واضحة على امتداد المقطع الشعري ، فليس هناك كلمة أدّل منها للتعبير عن رغبة خليل حاوي في تحقيق الانبعاث ، بما لها من معانٍ و دلالات ، فالعنقاء " طائر خرافي عند الصينيين و عند الشرقيين و شعوب البحر المتوسط ، وهو يعاود تولده من رماده ،و كذلك رمز البعث " . [2]

[1] خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م . س، ص : 436.

[2] فليب سيرنج ، الرمزفي الفن ـــــــ الأديان ـــــــ الحياة ، م . س ، ص : 200.

أراد خليل حاوي استحضار أسطورة العنقاء ، بما تحمله من معاني التغيير و التجدد ،و الخلود ، والحرية ، فكلها صفات البطل الخياليّ " الرعدُ الجريحُ " إذ يطمح إلى تغيير واقع أمتـــه العربية الفاسد ، ليجعلها تعيش في حرية و سلام بعيداً عن كل خيانة داخلية و خارجية ، فتصبح أمة فاعلة ببطلها ، رافضة للجمود لا تقبل إلاّ الجديد .

و قد اكتسب " الرعدُ الجريحُ " خلوده بجِدَّته " فالإبداع لا عمر له ، لا يشيخ ، لذلك لا يقيم الشعر بحداثته ، بل بإبداعيته".[1]

و الرعدُ الجريحُ خالدٌ خلودَ سمات الجمال فيه [2]، إذ تشكّل من مختلفات عديدة تمازجت بعضها ببعض ، فهو خالدٌ بقيمه و مبادئه التي وُجِدَ من أجلها .

و بهذا فإن " الرعدُ الجريحُ " بطلُ خليل حاوي الخياليّ خالدٌ محملٌ بدلالات كثيرة جعلته ممتداً من الماضي منصهراً في الحاضر متطلعاً إلى المستقبل ، فهو بطل صالح لكل مكان و زمان مادام الجمود والفساد يبسط ظله المشين على الشعوب العربية ، إنه لا ولن يتنازل عن الهـــدف الذي وُجِدَ من أجله ، حتى يتحقق الانبعاث العربي .

و على الرُّغم من أنه يبدو ظاهرياً خياليّ ألم ، إلاّ أنه في عمقه خياليٌّ تفاؤلٍ ، فخليل حاوي يأمل في وجود بطل ينقذ الأمة العربية من فسادٍ و أمراضٍ خبيثةٍ تهتك جسدها الأصيل حتى اليوم .

و نطرح سآلاً عسى أن يكون له يوم جواب ، أين هو البطل العربي الذي يحقق حلم خليل حاوي ؟ .

---

[1] أدونيس (علي أحمد سعيد) ، فاتحة لنهايات القرن ،م .س ،ص :436.

[2] كريب رمضان ، فلسفة الجمال في النقد الأدبي ، م .س ، ص : 157 ، 158.

الفصل الرابع

كيمياء الخيال ودلالات الرعد الجريح .

إذا كنا قد خصصنا الفصل الثالث لأهم الخصائص التي كان بها "الرعدُ الجريح ُ"بِدْعاً على غير مثال ولا مثال له إلاَّ هو عينه فإننا نخصص الفصل الرابع لأهم الدلالات التي يتميز بها هذا الخياليُّ، وسنسعى إلى ترتيبها بحسب بروزها .

الشعراء سفراء الكلمة، ملزمون بتفجيرها وإعطائِها شحنة من الدلالات ،وهـــذا لا يتأتى إلاَّ بالخيال ، وبنشاط فاعلياته الكيميائية ،فمن خلالها يتشبعُ الخياليُّ مُبْدعاً بعديد الدلالات التي تحفظ استمراره وخلوده .

وقبل التفصيل في دلالات "الرعدُ الجريحُ" ،ارتأينا إلزاما استعراض بعض الآراء التي جاءت في دلالات الإبداع ، من خلال طرح الإشكالية الآتية هل يمكن اعتبار الإبداع فعلا تَخَيُّلياً قائما على تفاعل الدلالات ، أم أنه لا يقوم على أيِّ فعل تَخيُلي ، ولا على أيِّ تفاعل دلالي بين أجزائه وقد تخض عن هذا الجدال المعرفي رأيان يمثلهما اتجاه قديم وآخر حديث.

ويمثل الاتجاه القديم كل من أرسطو طاليس، وعبد القاهر الجرجاني، فقد رفض الجرجاني أن تكون الاستعارة نتيجة من نتائج الخيال حين قال :" واعلم أن الاستعارة لا تدخل في قبيل التخيل "[1]، كما أنه وغيره من القدماء يرفضون منطق تفاعل الدلالات المؤدي إلى مزج عنصرين مختلفين بعضهما عن بعض ، وهذا ما هو إلاّ بسبب ضعف القدرة لديهم على تذوق تشكيل الخياليِّ الحيوي ،ومواجهة ما في العبارة الشعرية من معنى كثيف أو تعقيد جمّ أو ما في السياق من دلالات متفاعلة وعناصر متقاطعة . [2]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة، م .س ، ص : 238

[2] تامر سلوم ، نظرية اللغة و الجمال في النقد الأدبي (تفاعل الدلالات) ، دار الحوار للنشر و التوزيع ،سورية ، ط1 ، 1983، ص : 210 .

أما الاتجاه الحديث فيمثله على سبيل المثال" ريتشاردز" حين قال أن معنى الكلمة هو مجموعة من الإمكانات تُغذى وتَتغذى بإمكانات أخرى [1] ، وبما أنه صاحب النظرية التفاعلية ، فإنه يرفض الفكرة التي تزعمها البلاغة القديمة القائمة على الانتقال من معنى حرفي إلى معنى مجازي

ومن هنا فإن هذا الاتجاه يؤكد أن التفاعل ليس نتيجة إضافة طرفين إلى بعضهما ، بل هي علاقة جديدةٌ و مولَّدةٌ . [2]

وبهذا فإن الاستعارة نشاط ذهنيٌّ ، يتغذى ويوجد بالخيال ، من خلال المفاعلة الحاصلة بين المختلفاتِ المُشكِلَة وَحْدة الخياليّ، والتي تتفاعل أجزاءه جميعاً فيتشكل من هذه المفاعلة مركبٌ جديدٌ هو الخياليُّ مثل " الرعدُ الجريحُ " لخليل حاوي شاعر الانبعاث العربي الأول .

وبالخيال ملكة إبداع وجدَ " الرعدُ الجريحُ" بِدْعاً يحفل بدلالات كثيرة يوحي بها للمتلقي ، ومنها : الدلالة الثورية ، والدلالة السياسية ، والاجتماعية ، والحضارية ، والإنسانية ، والوجودية ...

1ــ الدلالة الثورية :خيَّل خليل حاوي " الرعدُ الجريحُ" بطريقة إبداعية قاربته أن يكون إلهاً ، ذلك أن الأمّة /الأم وفرت له شروط الوجود ، كما أنه تحدى و صمد ضد قُوى الشر والعدوان . ولا أدل على ثورة الرعدِ الجريحِ بطلاً ثائراً قول الشاعر :

"عادَ
غضَّاً وغضوباً متعاليْ
يحملُ الجرح الذي يترفُ
جمراً ولآلي
أترى هل كان في حُنوةِ ليلٍ يستريحْ

[1] م . ن ، ص : 312 .

[2] عبد الإله سليم ، بنيات المشابهة ، م . س ، ص : 63 .

حيث لا تضربه شمسٌ
ولا تُخفيهِ ريحْ "[1]

لقد وضف خليل حاوي كلمتي الليل والشمس .بما تحملانه من معنى الصيرورة والتحويل التي تلحق بالكائن الحيِّ فيتحول من ضعفٍ إلى قوةٍ ، فالليل والشمس أوجدا " الرعدُ الجريحُ " بطلاً قارب الإله ، الأمر الذي جعل البطل محملاً بدلالات " يتسرب بعضها في بعض ".[2]

والبطل الخياليُّ يوحي بمعاناة البطل العربي الغيور على أرضه وعروبته ، التي تنتهك حضوراً وغياباً. فهو غاضبٌ وناقمٌ يحمل جرحه لكنه لا يبالي ، بل إن جُرحه دلالة مقاومة وفداء وثورة، فما يعزيه النتائج الثمينة التي حققها في سبيل الانبعاث العربي ، لكن نحن نتساءل أين هو إنسان اليوم من أبطال الماضي ؟ أين هو فرد اليوم من بطل خليل حاوي الخياليً ؟

ونجيب أنفسنا بأنفسنا لا وجود لبطل في الوقت الحالي ، فلو وُجِدَ لما كان ربيع عربي تعايشه الأمم العربية ، لقد صدقت نبوءة خليـــل حاوي حين قال في تقديمه لديوانه " الرعدُ الجريحُ " "ويغيب فيطغى التهافت ينتهي إلى ما يشبه الموات"[3]ولو وجد بطل مثل : الرعد الجريح لما اغتصبت العروبة ، لما عانت فلسطين وسوريا وليبيا وغيرها من البلدان العربية ، فالأبطال العرب غابوا بغياب "الرعد الجريح " وغاب الأبطال بغياب الزعماء العرب أمثال : هواري بومدين ، جمال عبد الناصر ، وغيرهما كثير.

وحينما يقـــــول خليل حاوي عن البطـــــل الخيالي: "غضًّا "يبدو وكأنـــه فتيٌ وضعيفٌ ، لكن وبالتفاعل مع الغضوب تحدث المفارقة إذ تحيلنا على دلالات متشابكة ودفينة ، فهذا البطل مختلف كونُه يجمع بين مختلفين ، "فالاختلاف هو الذي يعطي لحـــــــركية الإبـــــــداع

---

[1]خليل حاوي ،الرعد الجريح ، م . س ، ص : 432 .
[2]مصطفى ناصف ، نظرية المعنى في النقد الأدبي م . س ،ص : 97 .
[3]خليل حاوي ، تقديم ديوان الرعد الجريح ، م . س ، ص :420 .

تألقـــــــــها وتنوعها وغناها "[1]مثل: " الرعدُ الجريحُ "، فهو مختلف عن باقي الأبطال ففي غضبه مقاومة بطل باسل ، كما أنه يطلعنا على الأطراف الفاعلة من أبناء الأمة العربية مثل : الملك فيصل " رحمة الله عليه "إذ قال في إحدى تصريحاته : " إن الدفاع عن الفلسطينيين هو إسمنت العروبة " و تابع قائلاً : سأضع البترول في خدمة العروبة و العروبة في خدمة الله "[2].

كما أن بطل خليل حاوي الخياليَّ " الرعدُ الجريحُ " كله صفاء ، يرفض الوضع السقيم الذي ساد البلاد العربية ، يأمل في عودة زمن الصفاء و العفة التي كانت أيام النبيّ (ص) . فمثلما قاوم النبيُّ محمد الكفار في الماضي ، ها هو الرعدُ الجريحُ يقاوم في الزمن الحاضر . و من مظاهر قوة البطل الخياليِّ

وثورته كلمة "يحدو" التي وظفها في مقطعه الشعري إذ يقول:

" إنْ تكُ الرعدَ الذي يَحْدُو

صهيلَ النارْ "[3]

إن البطل الخياليّ "الرعدُ الجريحُ" لا يحد طموحه شيء، فإن تخاذل القادة العرب ، فإنه للأعداء بالمرصاد .

و بهذا فإن الرعد الجريح الخياليّ صار رمزاً لطموح خليل حاوي في تحقيق حلم الانبعاث الحضاري بل إن رؤية البطل ماهي إلاّ رؤية خليل حاوي ، فالبطل الخياليُّ ما هو إلاّ خليل حاوي، ولا أصدق من قولنا انتحار خليل حاوي جراءَ الأوضاع التي آلت إليها البلاد العربية .

---

[1]أدونيس (على أحمد سعيد) ، المحيط الأسود ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005، ص : 49 .

[2]قنايزية عبد المالك ، حرب أكتوبر 1973(الوحدات الجزائرية في حرب الشرق الأوسط)، مطبعة عسكرية ، (د .ط) ، 2013، ص : 225 .

[3]خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م . س ، ص : 435 .

2 ــ الدلالة السياسية :

لقد عانت البلدان العربية غصَّات أثقلت كاهلها على مرِّ تاريخها ، بدءاً باحتلال العصابات الصهيونية لأجزاء من فلسطين، ثم كانت الضربة القاصّمة سنة 1967 حينما استعمرت العصابات الصهيونية كل فلسطين ، وأجزاء من مناطق أخرى ، من سيناء والجولان وجنوب لبنان .

وهذه الأحداث المؤلمة كانت دافعاً للشعراء إلى الإبداع ، وقد اتسم ابداعهم بالتشاؤم ، ومنهم خليل حاوي الذي شكَّل هزيمة الأمة العربية تشكيلا بارعا في قصيدة " لعازر 1962 " و " الأم الحزينة " وغيرهما من قصائدِ الهزيمةِ .

ثم جاءت مرحلة الصفاء فتحوَّل الواقع السلبي إلى إيجابي م بين [1967 و 1973]و هذه المرحلة السياسية تمثل الحالة سياسيةانبعاث عربي ، وعلى إثرِ هذه الرؤية السياسية شكّل خليل حاوي خياله " الرعدُ الجريحُ " .

إن أحداث الواقع السياسي كان لها أثرٌ عميقٌ في تشكيل " الرعدُ الجريحُ "، والذي يحيا من أجل رؤيا سياسية تخصُ كلّ البلاد العربية، ونعني بها انبعاث الأمة العربية من هزائمها.

فمن خلال الخياليّ"الرعدُ الجريحُ" نلتمس تلك الخيانة التي تعرض لها البطلُ العربي ، وهي من أثقل الهزائم إذ كانت من الداخل ، من طرف أبناء الوطن ، وهو ما يظهر في عنوان قصيدة خليل حاوي "الرعدُ الجريحُ ".

إن جُرح البطل يطلعنا على الخيانة العربية في تحالفها مع قُوى الشر الأجنبية ، وهذه الخيانة أعاقت البطل الخياليَّحتى يصل إلى تحقيق حلم الانبعاث العربي ، بل إنها السبب في القضاء على الرعدِ الجريحِ وموته في نهاية المطاف . وما زاد من عمق الخيانة وقسوتها ، أن النفاق أخذ يسري في دماء أبناء الأمة الذين كانوا يلعبون دور المعزي في نهاية القصيدة .

لقد كانت نهاية البطل بسب الخيانة ، والتي يشهد عليها التاريخ الواقعي ، فالخيانة التي لحقت العرب كانت على يد أنور السادات حينما فضَّل مصلحة شخصية على مصلحة عربية " والغياب التام للطيران المصري سمح للوحدات الإسرائيلية بمواصلة تقدمها نحو قناة السويس "[1]أما تَخَيُلِياًفإنها ممثلة في شاعر العصر، والملك الملوك ، والرفيق والرفيقة ،... إلاّ أنها لم تخرج عن أنور السادات وغيره من المتواطئين .

ويحيلنا الخياليُّ " الرعدُ الجريحُ " أيضا على ذلك الصراع السياسي الممتد حتى اليوم ، وهو الصراع بين العرب والغرب ، فهو صراع أزليٌ ، لن تكون له نهاية حتى يقضي على إحدى القوتين .

وهكذا تكون رؤية خليل حاوي إبداعياً ، ماهي إلاَّ رؤية سياسية تُنْبِئ بالقضاء على الرعدِ الجريحِ والقضاء على الحلم في الانبعاث العربي .

3- الدلالة الاجتماعية :

وكما أشرنا سابقا فإن الرعد الجريح بطلٌ خياليٌّ مشبع بالدلالات ؛ ومنها الاجتماعية ، فهي أصل تشكيل الخياليِّ ، كما قال أرسطو طاليس" لا شيء يدرك في العقل " [الذهن]مالم يبدأ في الحـــــواس ".[2]

وقد تحول "الرعدُ الجريحُ "إلى دلالة عظمى وهو ما يتجلى في عنوان القصيدة "الرعدُ الجريحُ".[3]

فهذا الخياليُّ يحيلنا إلى قيمة دلالية شكّلت القصيدة ألا وهي الخيانة التي تعرض لها البطل العربي في حرب أكتوبر 1973، فعانى غدر العرب وتواطؤهم مع العدو. فبعدما كان منتصراً، وفي كامل قوته وعنفوانه،جُرِحَ، إلاّ أن جُرحه إيجابيٌ كونُه يترف جمراً ولآلئ .

---

[1]قنايزية عبد المالك ، حرب أكتوبر 1973، م . س ، ص : 87 .

[2]على محمد هادي الربيعي ، الخيال في الفلسفة و الأدب و المسرح ، م . س ، ص: 55 .

[3]خليل حاوي ، الرعد الجريح م . س ، ص : 425 .

كما تحول هذا البطل عبر عملية تفاعلية بين الذات المُبْدِعة والمحيط الاجتماعي إلى بطل خارق تفاعلت عناصره جميعاً فتشكَّل قوياً ، وهنا نلحظ صبره وقوته وعزيمته ،عِزَّة نفس العربي الحق، وتحديه للأعداء مهما كانت قوتهم وسلطانهم .

ويحيلنا على قيمة دلالية اجتماعية أخرى وهي طبيعة من طبائع النفس البشرية ،إنها أنانية الذَّات وجُبْنها ،غير أنها ليست صفةً من صفات الرعدِ الجريحِ كونُه يمثل رمز الفداء وهذا ما نلحظه في قول خليل حاوي على لسان الأمة / الام :

"ولدي ليسَ المسيح ".[1]

فعلى الرّغم من أن الأمة ترفض فداء ولدها نفسه من أجل أناس منافقين إلاَّ أن البطل يُلَبِي نداء الواجب ، فيكون المسيح و يخفف معاناة الإنسان العربي .

كما يطلعنا البطل الخياليُّ على نفاقِ شرائح المجتمع التي تعزي الأمة في ولدها وتمشي في جنازته وهي من قَتَلتِه ، لكن الأمة تكشف أمرها ولا تقبل تعزية المنافقين ،والمشهد الشعري لخليل حاوي يعبر أيّما تعبير عن نفاقهم إذ يقول :

" ألرفيق:

أَنتِ أُمٌّ ، أَنتِ أُمٌّ للرفاقْ .

الأمُّ :

وحدهضيّعتهُ، ضيَّعتُ وحدي.

درَّة الكونِ .

.....

[1] م .ن ، ص : 459 .

كان يا ما كانَ .

والتعزية الحرَّى لها في كبدي .

طعمُ النفاق"[1]

4- الدلالة الحضارية :

لعب الشعر دورا بارزا في تشكيل الهوية الحضـــارية للأمة العربية على مرِّ العصور والأزمنة المختلفة ، فهو الهوية الثقافية للإنسان العربي منذ الجاهلية ، حتى قيل أن الشعر ديوان العرب ، وهو " مظهر من مظاهر الحضارة "[2]

وكلمة حضارة ذات بعد معرفي وتأصيلي عميق ،فهي تراكمية، لا تفتأ أن تكون وليـــدة اللحظة الراهنة ، فلكل أمة حضارتها ، ولا أرفع من حضارة تقوم على الخيال ، ذلك أنه يسهم اسهاما عظيما في تكوين العالم .[3]

وبالخيال ملكة إبداع ، فإن قصيدة "الرعدُ الجريحُ" وبطلها الخياليَّ،وُجدا متميزين نتيجة نشاط هذه الملكة الخلاقة ، فالبطل الرعدُ الجريحُ صرخة مدوية من شاعر ثائرٍ على وضع الحضارة العربية السقيم، فقد تحوَّلت من حضارة قوةٍ ومجدٍ إلى حضارة فساد وتلاعب بالمبادئ والقيم، وعلى الرغم من الفساد الذي تعانيه الأمة العربية ، إلاّ أنه يوجد بصيص أمل عند خليل حاوي ممثلاً في إيمانه بالرعدِ الجريحِ، البطلَ الحضاريَ ، وهذا ما يتجلى في قوله :الشفاه البكر [4] فهي تمثل خليل حاوي وغيره من الشعراء الذين في قلوبهم حرقة على أرض العروبة وعلى فلسطـــين الأرض الطـــاهرة البتول ،كما أن الشفاه البكر هي البطل الخياليُّ الرعد الجريح . ويقف في سبيل تحقيق الانبعاث أعداد

---

[1] م .ن ، ص : 462 ،463 .

[2] مجاهد عبد المنعم مجاهد ، فلسفة الفن الجميل ، دار الثقافة ، القاهرة ، مصر ، (د. ط)، (د . ت) ، ص : 57.

[3] علي محمد هادي الربيعي ، الخيال في الفلسفة و الأدب و المسرح ، م . س ، ص : 28 .

[4] خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م . س ، ص : 442

العروبة ، لقد سماهم خليل حاوي : شاعر العصر والملك المملوك إذ باعوا قيمهم ومبادئهم في سبيل سلطة آيلة إلى الزوال ، شعارهم " رغوة تبن ، صدى " .[1]

كما تحوَّل المكان الذي كان يسكنه فرع اصيل ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم إلى مكان يسكنه ملك ملوك ،ضئيل ينقاد لأعداء العرب دون حياء .

ويأمل خليل حاوي في انبعاث عربي يحققه بطلُه الخياليُّ ، فيعيد للحضارة العربية مجداً فقدته منذ زمن بعيد ، ويرى أن علاماتِ الواقعِ المعيشِ توحي بأن الحضارة العربية إنْ لم تنقذ بفعل حضاري يشبه المعجزات فإنها ذاهبة إلى الزوال لا محالة ، وربما هذا الخوف الحضاري الذي سكن الشاعر، وغدا هاجسا لديه جعله يبدع بطله الخياليّ . فهو الأمل المنشود في تحقيق الانبعاث العربي .

والقصيدة عند خليل حاوي عموماً تدور في فلك واحد وهو موت الحضارة العربية وانبعاثها ، وقصيدة "الرعدُ الجريحُ" تدعو إلى انبعاث الحضارة العربية من موت خنق أنفاسها الطيبة

5- الدلالة الإنسانية :

النزعة الإنسانية بعد أساسي في تشكيلِ " الرعدُ الجريحُ " بطلاً متميزا ، فخليل حاوي كان إنسانيا في جميع قصائده التي أبدع ،فقد كان همُّه إنسانياً يطمح دوما إلى الاحتفاء بالإنسان ، ولطالما كان متألماًعلى طغيان القيم المادية على حساب الروحية ، فأصبح إنسانا ماديا يبيع ذاته بأرخص الأثمان .

والانسانية " مجموعة الطبائع المشتركة بين الناس... ، طيبة خُلْقية معبر عنها بمختلف أساليب القول والعمل والمواقف من الآخرين".[2]

---

[1] م .ن ، ص .ن

[2] جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، م .س ، ص : 37 .

وتظهر الإنسانية دلالة من دلالات الخياليِّ " الرعدُ الجريحُ " ،حاصل تفاعل ذوات عديدة كلها صفاء ونقاء مثل خليل حاوي ، وذات النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وذات المسيح وذات كل فدائي عربي ،إذالتحمت وتفاعلت كل هذه الذَّوات بعضها ببعض فكانت بطلاً إنسانياً بامتيازٍ و هو " الرعدُ الجريحُ "

إن الرعدَ الجريحَ ليس إنساناً عادياً ، إنّما هو خياليٌ تمكَّن الشاعر من إبداعه بقدرة الخيال وعبر فاعليات كيميائية ،وتشكيله تشكيلا فوق عادي ، كونُه مبدعٌ من تمازج واندماج ذات خليل حاوي بجسد المسيح ،ويظهر ذلك في قول خليل حاوي على لسان الأمة/ الأم:

" ولدي ليسَ المسيحْ "[1]

لقد كان البطل الخياليّ " الرعدُ الجريحُ" رمز فداء الإنسانية رغم إنكار الامة / الام هذا الفعل، فإن كان المسيح في التاريخ الواقعي صُلب من أجل خلاصِ الإنسانِ ، فكان إنسان الماضي يستحق الفداء، فإن الرعدَ الجريحَ ضحى من أجل المنـــافقين ، وهذا هو حال إنسان اليوم لا يستحق أيَّ فداء .

ومن خلال نشاط الخيال بفاعليته الكيميائية تمكّن خليل حاوي من مزج فداء عيسى كما وذكره في الإنجيل، وبين فداء البطل الخياليّ من أجل العرب ، فتشكل من هذا المزيج خيالياًهو الرعدُ الجريحُ رمز الفداء والتضحية والصفاء ، فكان مثالاً لأبناء الأمة المخلصين يضحي بنفسه من أجل الإنسان العربي حتى يتحقق الانبعاث العربي .

وبهذا الفعل نلحظ ذلك الحزن الإنساني الذي دفع خليل حاوي للتضحية بنفسه فحزنه"إنساني لا فردي يتصل بتصور الشاعر لوضع الإنسان في هذا الكون "[2]الذي يعمه الفساد والنفاق .

---

[1] م . س ، ص : 459 .

[2] إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة ، الكويت، (د. ط)، (د . ت) ،ص :145 .

إلاّ أن التضحية التي قدمها البطل ذهبت هباءً، فقد تخلى عنه الكثير من شرائح المجتمع، خاصة أصحاب القرار باستثناء الأمة / الأم .وفي هذا تفاعل مع نص الإنجيل فالمسيح يناشد قائلا :"إلهي إلهي لماذا تركتني "[1]. والأمة تناشد لماذا تخلى الرفاق عن الرعد الجريح .

وعليه فإن هدف خليل حاوي من استحضار قصة المسيح أن يحيلنا على إنسانية البطل الذي يحتضن الإنسان وقت الشدَّة من جهة وعلى المصير الذي آلت إليه البلاد العربية من جهة أخرى .

6- الدلالة الوجودية :

الابداع وليد معاناة نفسية دفينة يخرج الاشياء من معانيها التخيُّلية إلى معاني حقيقية فالأثر الفنيُّ يحاكي الواقع وإن علا عليه .

تبدأ قصيدة الرعد الجريح بنظرة تفاؤليةٍ، بولادة البطل الخياليّ "الرعدُ الجريحُ" ، بطل مقاومة وصمود وخير، فقد تشكل من رحِم المأساة ، لكنها تنتهي بنظرة معاكسة تماماً لبدايتها ، فنجده يتشكل قلقاً قلق خليل حاوي ، وهذا جراء القضاء على حلم الانبعاث العربي الذي يؤمن به ، بسبب الخيانة التي قتلت البطل وقتلت خليل حاوي صاحب موقفٍ ورؤيا ومعاناة دفينة في نفسه البريئة ، وهذه المعاناة التي يعانيها الشاعر ماهي إلاّ كونُه صاحب مسؤولية ، فهو لا يجد أيّ انسجام مع وضعه الاجتماعي والروحي ، فانعكس ذلك على نتاجه الفنيِّ خاصة الرعد الجريح .

لقد ولد البطل الخياليُّ من عمق مأساة أثقلت كاهل خليل حاوي ، فقد كان يتخبط وسط أوضاع عربية كلّها تخلف ونفاق وانقياد للآخر، مما جعله يتخبط وسط صراع نفسي مرير، فهو يرفض التبعية إلاّ أنه وجد داخله بصيص أمل في انبعاث عربي قريبٍ قد يحققه البطل الخيالي عسى أ ن يأتي يوم يكون حقيقة واقعية .

ويظهر الهم الوجودي لخليل حاوي في تشكيل الخياليِّ الرعد الجريح فيقول :

[1] إنجيل مرقس ، الإصحاح 15 ، الآية : 34 .

" ذلك الطفلُ الطريْ

لو تراهُ

في الكوابيس التي تَعْجِنُهُ

تُعمي نهارَهُ

أُخطبوطاً في محارَه " [1]

إن البطل "الرعدُ الجريحُ" قويٌ إلاّ أنه مقيدٌ، فهو أخطبوط في محارة سيَّجتهُ، وهي الواقع الفاسد الذي يزيد من معاناته الوجودية ، فتحوّل همه من ذاتي إلى إنساني .

إذن فالرعد الجريح يعاني صراع إنساني أزلي يحكى الوجود أو العدم، يسعى إلى تحقيق أحدهما. فإن وُجد ممكناً حقق ذاته، و إن أُعدِم فإنه سينبعث من رماده .

كما أن الركيزة الأساسية التي يحيا لأجلها خليل حاوي وبطلُهُ الخياليُّ هي القضية الفلسطينية التي تقضي على العرب أو إسرائيل فإذا كانت إسرائيل تسعى إلى القضاء على العرب جميعاً، فهم بدورهم يسعون إلى القضاء عليها ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلاّ بالمقاومة التي تخلو من الخيانة .

وبهذا فإن خليل حاوي يعاني أزمة ذات وجود، يعاني صراعاً وجودياً حول الفناء والبقاء، ثنائية الحياة والموت وهو ما يتجلى في قوله:

"ولماذا يتَّقي

ما ضمَّفي عتمتِهِ

وجهَ أبيهْ

وجباهاً غضةً مستعرَهْ

[1] خليل حاوي ، الرعد الجريح ، م . س ، ص : 427 ..

وصغاراً في قبورٍ نظرَهْ".[1]

فخليل حاوي يخافُ ظُلْمةَ القبر رغم أنه ضمَّ وجه أبيه واحتوى أخته ،وفي حقيقة الأمر فإن خوفه مثل خوف أيِّ إنسان يصارع من أجل البقاء ، ورغم تطلعه وصراعه لأجل البقاء لتحقيق الانبعاث العربي .

وعليه فان خليل حاوي يحاول خلق معنىً جديدٍ من تفاعل أطراف [2] خيالِيَة البِدْع الرعدُ الجريحُ. وفي ختام فصلنا هذا نخلص إلى أن الرعد الجريح بطل خياليٌّ ليس أحادي الدلالة ، فهو خياليٌّ«ذو سطح وذو عمق ، فإذا كان سطحه يشير إلى شيء ، فإن عمقه يقول ما لا يقوله سطحه »[3]وهذا ما جعله خيالياً مشبعاً بالدلالات التي تفاعلت فيما بينها فكان الرعد الجريح البطل البِدْعَ على غير مثال سابق ، ولا مثال له إلاّ ذاته .

[1] م.ن ، ص : 427 .

[2] تامر سلوم ، نظرية اللغة و الجمال في النقد الأدبي ، ص : 301 .

[3] خليل موسى، جماليات الشعرية ، ص : 294 .

خاتمة

الخاتمة :

لقد بلغت الرحلة في أحضان الخياليّ " الرعدُ الجريحُ " نهايتها ، إذ طبقنا عليه فاعليات كيمياء الخيال الثماني و هي : العدم ، و الإمكان ،و الاختلاف ،و التفاعل و الصهر، و المزج ، و التحويل و التشكيل ، التي أوجدت الرعد الجريح بِدْعاً متميزاً ، و قد توصلنا بعد قراءة و تمحيص هذا المبْدَع إلى جملة من النتائج و منها :

1 ــ هناك ظاهرات كيميائية تحكم الظاهرة الطبيعية ، و لها ما يشاكلها من ظاهرات في الفن ، إلاّ أن لكل منها مجال خاص .

2 ــ تنشط كيمياء الخيال بفاعلياتها الثماني فتتصرف في الهَيُولى لتنتج خياليات أبداعاً مثل الرعد الجريح .

3 ــكيمياء الخيال منهج نقدي يمكن أن يخضع له الأثر الفنيُّ سواء أكان شعراً أو رسماً أو موسيقي

4ــ يضل الخيال بكيميائه أعظم قدرة أوجدها الله سبحانه و تعالى في الإنسان ، به يحيا و يتواصل و يبدع .

5 ــ لابد من التأكيد أن للقدماء معرفة بالخيال و فاعلياته الكيميائية بدليل ما أوردناه من نصوص لابن عربي ،و حازم القرطاجني ،و عبد القاهر الجرجاني .

6 ــ الخيال ملكة إبداع يحول المعدوم العينيّ إلى موجود متعالٍ في الذهن .

7 ــ ينشط الخيال لحظة إبداع الخياليّ بوعي أو دون وعي ، إلاّ أنه يُنتِج أبداعاً عجيبة تروق متذوقيها .

8 ــ سعينا في مسيرة بحثنا إلى الفصل في قضية المصطلح الأنسب لنتاج ملكة الخيال ، فتوصلنا إلى أن المصطلح الأصوب هو الخياليُّ نسبة إلى الخيال بدلاً من الصورة الشعرية الاصطلاح الشائع في النقد الشعري .

9 ــ إن الذهن البشري هو المختبر الكيماوي الذي يتصرف في الخياليات فيخرجها في هيئة متفردة و خاصة .

10 ــ الخياليُّ قطب من أقطاب العملية التواصلية ، بل إنه ثمرة مفاعلة كيميائية بين ذات المُبدعِ و الواقع العينيّ، الذي يتصرف فيه بفعل كيمياء الخيال ، فيخرج في هيئة قابلة للتأمل و التذوق و النقد .

11 ــ إن الرعد الجريح بِدْعاً متفرداً جاء محملاً بخصائص عديدة ، خصته دون سواه ، فهو مُبْدعٌ لا مثال سابق و لا لاحق له كونه مشكلاً من وَحْدة اختلاف ، جديداً كلَّ الجِدَّة ، جميلٌ ، و هذه خصائص كلها أدخلته نطاق التجربة الإبداعية الخالدة .

12 ــ يظل الخيال أكثر آليات قراءة الواقع خصوصاً الشعر ، فهو يُحمِّل الإبداع قدراً من الدلالات ، لهذا جاء الخياليّ " الرعدُ الجريحُ " محملاً بدلالات عديدة أكدتها دراستنا ، و يبدو أنها تولّدت بتفاعل الذات الشاعرة لخليل حاوي بالواقع الفاسد ، و هذا بنشاط كيمياء الخيال .

13 ــإن الرعد الجريح جاء تعبيراً عن هموم الإنسان العربي ، بل إنه رمز الانبعاث العربي ، كما أنه رمز كل من في قلبه غيرة على وطنه و عروبته .

قائمة المصادر والمراجع

1-إنجيل مرقس ، الإصحاح 15.

قائمة المصادر:

2 - خليل حاوي الرعد الجريح ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، (د .ط) ، 1993.

قائمة المراجع :

المراجع باللغة العربية :

3 - أحمد درويش ،في نقد الشعر ، الكلمة و المجهر ، دار النهضة ،مصر ، (د . ط) ، 1993.

4- أدونيس (على أحمد سعيد)، المحيط الأسود ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005.

5 - أدونيس (على أحمد سعيد)، زمن الشعر، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط3، 1983.

6 -أدونيس (على أحمد سعيد) ، فاتحة لنهايات القرن ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط11980.

7 -أميرة حلمي مطر ، فلسفة الجمال ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ،(د .ط)، (د . ت) .

8 -أميرة حلمي مطر ، مقدمة في علم الجمال و فلسفة الفن ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1989 .

9- الجاحظ ، الحيوان ، تح . محمد باسل ج .3 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2002 .

10-إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة ، الكويت، (د. ط)، (د . ت) .

11-إحسان عباس ، فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، (د .ت).

12 -إيليا حاوي خليل حاوي في سطور من سيرته و شعره ، ج 1 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983.

13 -إيليا حاوي ، خليل حاوي في مختارات من شعره و نثره ، ج2 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1984 .

14 -توفيق الشريف ، فلسفة الفن ، دار سيباد للنشر ، تونس العاصمة ، تونس ، ط1 ، 1955 .

15 -تامر سلوم ، نظرية اللغة و الجمال في النقد الأدبي (تفاعل الدلالات) ، دار الحوار للنشر و التوزيع ،سورية ، ط1 ، 1983.

16 -جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط3، 1992.

17 -جابر عصفور ، قراءة التراث النقدي ، مؤسسة عيبال للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991.

18 -جابر عصفور ،مفهوم الشعر ، دراسات في التراث النقدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ،ط5 ، 1990 .

19 -جهاد فاضل ، أسئلة الشعر ، حوارات مع الشعراء، الدار القومية للكتـــاب، الإسكندرية،القاهرة ، (د . ط)،(د. ت)

20 -جهاد فاضل ، قضايا الشعر الحديث ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، (د . ط) ، (د.ت).

21 -حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح. محمد بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، (د.ط)، (د. ت).

22 -حمادي صمود ، في نظرية الأدب عند العرب ، النادي الثقافي ، جدّة ، سورية ، ط 1، 1990.

23-خليل موسى ، جماليات الشعرية ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، سورية ، (د . ط)، 2008

24 -ريتا عوض ، خليل حاوي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983 ، ص : 82 .
25 -ساعد خميسي ، نظرية المعرفة عند ابن عربي ، دار الفجر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2001.
26 -سيد صديق عبد الفتاح الجمال كما يراه الفلاسفة و الأدباء ن دار الهدى للنشر و التوزيع ، القاهرة ن مصر ، ط1 ، 1994 .
27 -شاكر عبد الحميد ، الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي ، علم المعرفة ، مصر ، (د .ط)، (د .ت).
28 -شاكر عبد الحميد ، الأسس النفسية للإبداع الأدبي ، في القصة القصيرة خاصة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، (د. ط)، 1992.
29 -شفيق البقاعي ، الأنواع الأدبية مذاهب و مدارس ، مؤسسة عز الدين للطبـــاعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985 30 -شكري عزيز ماضي ، في نظرية الأدب ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005.
31 -صلاح عبد الصبور ، حياتي في الشعر، مج3 ، دارالعودة، بيروت ،لبنان ، ط2 ،1977.
32 -عادل حدجامي، فلسفة جيل دولوز عن الوجود و الاختلاف، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط ، 2012.
33 -عاطف جودة نصر ، الخيال مفهوماته ووظائفه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (د. ط)،1984 .
34 -عامر الدبك ـــ أوهام العبد الله ، الإبداع في دائرة الضوء ، دار الحوار ، اللاذقية ، سورية ، ط1 ، 1996 .
35-عبد الإله سليم ، بنيات المشابهة في اللغة العربية ، مقاربة معرفية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2001.
36 -عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج 2 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1984.
37 -عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت ، لبنان ، ط5 ،2006.
38 -عبد الغفار مكاوي ، ثورة الشعـــــر الحديث من بودلير إلى العصر الحاضر ، ج1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د .ط)، (د.ت).
39 -عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في العلم و البيان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988.
40 -عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح .محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005 .
41-عبد الله الغذامي ، الموقف من الحداثة و مسائل أخري ، جدّة ، السعودية ،ط2، 1991.
42-عبد الكريم اليافي ، دراسات فنية في الأدب العربي ،مكتبة ناشرون ، بيروت ،لبنان ، ط1 ، 1966 .
43 -عبدالملك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ،دار هومة ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ،(د . ط) ، 2007.
44 -عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1966.
45 -على بن محمد السيد لجرجاني التعريفات، تح .محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للنشر، القاهـــرة ، مصـــــــــر ، (د. ط)، (د. ت)
46 -على عبد المعطي محمد، فلسفة الفن رؤية جديدة ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ،(د.ط) ، 1984.
47 -على محمد هادي الربيعي ، الخيال في الفلسفة و الأدب و المســـــــــرح ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ،الأردن ، ط 1 ،2012 .
48 -غادة الإمام ، جاستونباشلار ، جماليات الصورة، التنوير للنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010.

49 -فاتح علاق ، مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، (د. ط)، 2005
50 -قنايزية عبد المالك، حرب أكتوبر 1973(الوحدات الجزائرية في حرب الشرق الأوسط)، مطبعة عسكرية ،(د .ط) ، 2013.
51 –كريب رمضان ، فلسفة الجمال في النقد الأدبي –مصطفى ناصف نموذجا – ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر العاصمة، الجزائر ، (د .ط)،2009 .
52 -مجاهد عبد المنعم مجاهد ، فلسفة الفن الجميل ، دار الثقافة ، القاهرة ، مصر ، (د. ط)، (د . ت) ، ، المعاصر ، عالم المعرفة ، الكويت، (د. ط)، (د . ت).
53- محمد التنجي ، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط2 ، 1999.
54 -محمد عبد المطلب ،هكذا تكلم النص ،استنطاق الخطاب الشعريلرفعت سلام، الهيئة المصرية العـــــــــــامة للكتاب ،(د. ط) 1997 .
55 -محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، (د . ط) ،1997.
56-محمود محمود العراب ، الخيال عالم البرزخ و المثال ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، سورية ، ط 3 ، 1993.
57 -محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2008.
58 -محيي الدين بن عربي ،فصوص الحكم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، (د. ط)،(د.ت).
59 -مصطفي صادق الرافعي ، أوراق الورد ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، مصر، ط 8 ، 1967.
60 -مصطفى صادق الرافعي ، رسائل الأحزان ، دار الصحوة ، القاهرة ، مصر،ط1 ، 2008.
61 -مصطفى ناصف ، نظرية المعنى في النقد الأدبي الحديث ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، (د . ط) ، (د. ت).
62 -نبيل راغب ، التفسير العلمي للأدب- نحو نظرية عربية جديدة – ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997.
63 -نعيم اليافي ، مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، منشورات الثقافة و الإرشادالقومي ، دمشق ، سورية ، د . ط ، 1982.
64 -نور الدين السد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، دراسة في النقد العربي الحديث (تحليل الخطـــاب الشعري و السردي)، ج2 ، دار العودة ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، د .ط ،2010.
65 -وليد إخلاصي، المتعة الأخيرة ، اعترافات شخصية في الأدب ،دار طلاس، دمشق،سورية، ط1 ، 1986.
66 -يوسف وغليسي ، إشكالية المصطلح في الخطـــاب النقدي العربي الجديد ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ،ط1 2008 .

المراجع المترجمة إلى العربية:

67-أرسطو طاليس ، فن الشعر ، تر . عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،(د. ط)، (د .ت)

68-أرنست فيشر ، ضرورة الفن ، تر . أحمد حليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د .ط) ، (د . ت).

69-إليفستالوني ، الأجناس الأدبية ، تر. محمد الزكراوي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2014 .

70-ت.إليوت و آخرون، اللغة الفنية،تر. محمد حسن عبد الله ،دار المعارف ، القاهرة ، مصر، (د .ط) ، (د .ت).

71-جان بول سارتر ، الوجود و العـــدم ، بحث في الأنطولوجيا الظاهرتية ، تر. عبد الرحمن بدوي ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1966 .

72- جوليا كر ستيفا ، علم النص ، تر. فريد الزاهي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 1997 .

73 -سسيل دي لويس ، الصورة الشعرية ، تر . أحمد نصيف الجنابي و آخرون ، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام ، الصفاة ، الكويت، (د .ط) ، 1982.

74 -فيليب سيرنج ، الرمز في الفن - الأديان- الحيـــــــــاة ، تر. عبد الهادي عباس ، دار دمشق ، سورية ، ط1 ، 1992 .

غاستون باشلار، لهب شمعة ، تر . مي عبد الكريم محمود ، أزمنة للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، .2005 75

76 -مارك جيمنيز، ما الجمـــــــــالية ، تر. شربل داغر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المنظمـــة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ط1، 2009.

المعاجم :

77 -ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (د . ط)، (د . ت).

78 -المكتبة الكاثوليكية ، المنجد في اللغة و الأعلام ، دار الشروق ، بيروت ،لبنان ، ط31، (د.ت).

79 -جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار الملايين ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1984.

80 -جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، (د . ط) ، 1982.

81 -جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2 ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، لبنان ، (د. ط)، 1982.

82 -مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ،ط 4 ، 2004.

القواميس المزدوجة :

83 -جروان السابق ، كتر الطالب ، قاموس فرنسي ، عربي ، المؤسسة العربية العامة للكتاب ، ط1 ،1991 .

الرسائل الجامعية :

84 -خليل موسى ، مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة ، أطروحة استكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغـــــــة العربية ، جامعة دمشق ، سورية ، 1981

85 -مديونة صليحة ، المحاكاة بين الفلسفة و الشعر ، أطروحة استكمال متطلبات الماجستير في اللغة العربية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، 2006.

المجلات :

86 -مجلة الجاحظية ، ع19 ، 2002.

الملتقيات :

87 – الملتقى الوطني لجمالية التلقي ،15 -16 أفريل ، 2013 ،قسم اللغة و الأدب العربي ، جامعة 08 ماي 1945 .

المحتوى

المحتوى

المقدمة.....أ –ب – ج

الفصل الأول : في المفاهيم الإجرائية 05–21

1 ــ في كيمياء الطبيعة 05

2 ــ في الخيال 06

3 ــ في كيمياء الخيال 11

4 ــ في الخياليّ 15

5 ــ في الإبداع و مراحله : التأسيس ــ الإنتاج ــ الإخراج 18

الفصل الثاني : فاعليات كيمياء الخيال في إبداع الرعد الجريح 23–50

1 ــ فاعلية العدم .....23.

2 – فاعلية الإمكان 29

3 ــ فاعلية الاختلاف 32

4 ــ فاعلية التفاعل 36

5 ــ فاعلية الصهر 39

6 ــ فاعلية المزج 42

7 ــ فاعلية التحويل 44

8 ــ فاعلية التشكيل 46

الفصل الثالث : كيمياء الخيال و خصائص الرعد الجريح 52–65

المحتوى

1 ــ الإبداعية 52

2 ــ الوَحْدَة 55

3 الجِدّة 57

4 ــ الجمال 59

5 ــ الخلود 63

الفصل الرابع : كيمياء الخيال و دلالات الرعد الجريح 67–79

1 ــ الدلالة الثورية 68

2 ــ الدلالة السياسية 71

3 ــ الدلالة الاجتماعية 72

4 ــ الدلالة الحضارية 74

5– الدلالة الإنسانية 75

6 ــ الدلالة الوجودية 77

الخاتمة 81–82

قائمة المصادر والمراجع 84–88

الملحق.....90–101

الملحق

تعريف بالشاعر خليل حاوي :

خليل حاوي شاعر لبناني، ولد في بلدة الشوير عام 1925 م ، وفيها نشأ و تعلم ، نال شهادة البكالوريوس في الأدب العربي و الفلسفة عام 1952 م ، في الجامعة الأمريكيـــة بيروت، و شهادة الماجستير عام 1955 م ، و في عام 1956 أرسلته الجامعة الأمريكية في بيروت إلى جامعة كمبريدج ، و نال فيها شهادة الدكتوراه عام 1959 م ، و عاد بعد ذلك إلى بيروت أستاذاً للأدب العربي في الجامعة الأمريكية ، يعرف بأنه شاعر الانبعاث ، ذلك أن الموضوع الطاغي على شعره هو رؤيته لجمود الثقافة العربية و تخلفها ، و حلمه ببعثها و تجديدها .

و في 1982/06/06 انتحر خليل حاوي ، حيث أطلق النار على نفسه من بندقية صيد ففارق الحياة احتجاجاً على اعتداء إسرائيل على و طنه و على العرب جميعاً.

قصيدة "الرعدُ الجريحُ ":

كانت الغصّاتُ موجاً
يتلّوى و يدوِّي
في مضيقْ
يزحم الموج الذي يرتدُّ
عن سورٍ عتيقْ
كان في الغصَّاتِ
ينحلُّ قناعي
عن فسوخٍ ترتعي
جدران جسمٍ متداعي
****
فرحةُ الأمِّ التي تحتضنُ
الطفلَ الطريْ
و تباهي بالفتيِ المنحوتِ
من زهو الصفاءِ المرمريْ
ما تري لو تتحدَّى
مبرداً أعمي خفيَّاً
يشتهي التشويهَ
يجتاح صِحاحَ الجوهريْ
****
ذلك الطفلُ الطريْ
لو تراهُ
في الكوابيس التي تَعجنُهُ
تُعمي نهارهُ
أخطبوطاً في محارهْ
وتري الدرب تمشِّيهِ
إلى هوَّة ليلٍ يتَّقيهْ
و لماذا يتَّقي
ما ضمَّ في عتمتهِ
وجه أبيهْ
و جباهاً غضةً مستعرَهْ
و صغاراً في قبورٍ نضرهْ

****

و لماذا يتشهَّى
لو يكون العمرُ فصلاً لا يزولْ
يتشهَّى و يقولْ :
كلُّ ما تختزن الأرضُ
و تحلوهُ الفصولْ
يمَّحي في غضَّة الظنِّ
تهاويلَ استعارهْ
****

لم يعدْ في فحمة الحسِّ
شرارَهْ
فلتهبَّ الريحُ
لن يزهرَ جمرٌ و يغنِّي
ما يغنِّي في صبايا الحيِّ
من طِيب التمنِّي :
سمرة العنقود ، وهجُ العاجِ
بلَّورُ النضارهْ .
كيف لا يسأمها الحسُّ
و يبلوه الوجومْ
لو تخطَّت عمر نَيسانَ
إلى عُمر النجومْ
و ارتوى الجوعُ
فما يتلوه جوعٌ
يجتني باللهفةِ الحَرَّى
كنوزاً لا تدومْ
****

ثم هلَّتْ
نعمةُ التهويمِ
في طلعة ضيفٍ
عادَ من غورِ الليالي
عادَ
عضَّاً و غضوباً متعالي
يحملُ الجرح الذي يترفُ

جمراً و لآليْ
أتُرى هل كان
في حُنوة ليلٍ يستريحْ
حيث لا تضربه شمسٌ
ولا تُحفيهِ ريحْ
كيف لا يحترقُ الليلُ و يفنى
حين يلتفُ على
رعدٍ جريحْ
****

أنتَ يا منْ عُدتَ
من غور الليالي
لا تسلْ عنِّي ،
و عن مطرحك الخالي
و بيتٍ من صحابي الأمس خاليْ
و صحابي اليوم :
طفلٌ لم يزلْ يرسبُ
في صُلبي
و أقراصٌ لصحوي و لِنومي و سعالي
عندما أدركتُ
عمق الليل في حالالتخلّي
جُنَّت الرؤيا
و راحت تتحرَّي جَنَّةً محتجبهْ
أوغلت في الغيبِ
و ارتَّدت لصدريْ
غصَّةً منتحبهْ
غصَّةَ العمر المولِّي ،
يلتوي بالحسِّ عمَّا يشتهي
الحسُّ الذي يُعْوِلُ
من كيدٍ و يَغْلى
إنْ تكُ الرعدَ الذي يحْدو
صهيلَ النارْ
من أفقٍ لأفقٍ و يروحْ
بعدَ أن يشتفَّ ما يترفُ

من وهْجِ الجروحْ
لو تمادى عمرُك
المحتومُ ألاَّ يتمادى
كنتَ أشعلتَ الضلال السُودَ
في دربِ المساءْ
كيف تدْري
ما يعاني كلُّ حيٍّ
صيغَ من طينٍ و ماءْ ؟
غير نسرٍ ما يزالْ
يتملَّى العمرَ
أعماراً طِوالْ
لو تهاوى و انطوى هولُ جناحيهِ
مساءً في الذرى الملتهبهْ
أفرختْ شهوتهُ للعُمرِ
و اخضَّرتْ
و روَّت لهبهْ
****

و لماذا كنتَ
مختاراً سميعْ
وتجلَّيتَ مُطاعاً و مُطيعْ
و لماذا خُتِمت بالطينِ
أسماعُ الجميعْ
عن مصيرٍ
صاغه التاريخُ من صُلب الرجالْ
لَّخصتْهُ
في مجال العمرِ
أجيالٌ طِوالْ
و تصفَّتْ دوحةُ الصحراءِ
في فرعٍ أصيلْ
يتعالى عن جلال المجدِ
ينبوعاً يسيلْ
من مَطاوي جُبَّة ملتمعهْ
غاص فيها وجه مملوكٍ ضئيلْ

حوَّل الطغيانَ
لهواً ، مهرجاناً
و علتْ صيحةُ آهْ
و تهادى شاعرُ المملوكِ
وجهاً من وجوهٍ كُوِّرتْ
دونَ جباهْ
كلُّ وجهٍ نبتت فيه
وجوهٌ طيِّعهْ
ما أحسَّتْ غضةً ثارت و غصَّتْ
في هزيج الأقنعهْ
****

شاعرُ العصر
يصوغ الشعرَ
ترفيهاً يغنِّي عبر تمويهِ الشفاهْ
يحتفي بالرصف و الترصيع
في (بيت) خوى من ساكنيهْ
و يصلِّي باسْمِ واليهِ
و يحشو ربَّه الأكبرَ
حشواً فارغاً في باطِنهْ
****

مُنْسفُ التبنِ ، صدى الرغوةِ
ترجيعُ الصدى
زوبعَتْ أعمدةً
تطفو على رحْبِ المدى :
رغوةٌ ، تبنٌ ، صدَى
رغوةٌ ، تبنٌ ، صدَى
رغوةٌ ، تبنٌ ، صدَى
غير أسماءٍ
تسمِّيها الشفاه البكرُ :
يُنبوعاً ، كروماً، غابةً ،
حيًّا ، عمارَهْ
تلد الأشياءَ في طهر البكارهْ
عِفَّةِ الصحراءِ في فرع أصيلْ

بارك الشحَّ الذي يرشحُ
من جَمر الرمالْ
و مناخِ الصخر في جردِ الجبالْ
بين أنياب الجلاميد التي تعصى
على خيل المغولْ
طالما هاجتْ و ماجتْ
و ارتعتْ و انتعلتْ
خصبَ السهولْ
****

و كفانا أن نرى
في الجبهة السمراءِ
ما صحو الجبالِ المطمئنَّةْ
ترتوي من غضبِ
البركانِ و الرعدِ
و ترتوي في شعاب السفح جنَّةْ .
في لُهاثِ الشمس و الأرضِ
اغْتسلنا ، و غَسلنا
في بياضٍ لاهبٍ
أدمغةً كانت تُعاني
هولَ ما كانَ
و ما سوفَ يكونْ
هولَ آنٍ
ليس من عُمر الثواني
يرتمي في الحلق جلموداً
و ينمو إبراً بين الجفونْ
و كفي بالجبهة السمراءِ
ما ينهلُّ من رؤيا
لها في دمنا طعمُ اليقينْ
تصهرُ الظلَّ الذي يغفو
على رملِ الموانِي
في صهيل الصاعقةْ
و الرياحُ السودُ تُدميها
التِماعاتُ الجباهِ الشاهقةْ

****

و قلوبٌ وُلدَتْ
في صفوةِ العيشِ البريْ
راوحتْ ما بي
كدٍّ ، عَرَقٍ ، زرعٍ
و شحَّ في الحصيدْ
من عيدٍ لعيدْ
حيثُ يَجري
النبعُ و الموَّل في ظلٍّ طريْ
أَلِفَتْ طيبَاللياليِ
حولَ نار الموقدَهْ ،
و لماذا هَدرتْ عبر الأعالي
لم تعدْ تذكرُ عيشاً و تُبالي
و تعرَّتْ عن سيولٍ و رعودٍ مزبِدَهْ
و تهاوتْ صوب شلاّلِ
من الرعد العُبابْ
يمخرُّ الأرضَ
و يرمي بالتراب الأحمرِ الرَّيانِ
من قلب الترابْ
يلتقي صخراً رخاماً
فيصفِّيه و يجلو مقلعَهْ
و على رمل الشّواطي
تترامى الدُّررُ الملتمعهْ
****

و تهلَّلنا ، و مجَّدْنا
جراحَ الرعدِ ،
مجّدنا لآلي الرعدِ
في الأرض الخرابْ
****

ألنجومُ انسحبتْ
خلف شهابٍ أحرق الليلَ
و غابْ
****

ويلَ قلبٍ يتمطّى العمرَ
في دربِ الغيابْ
كان في الأصل وفي الطبعِ شهاباً
فاته ومضُ الشهابْ
الرفيقةُ :
باطلُ طولَ الصِراعْ
و ضياعي في دويٍّ
فاحمِ الدخنةِ
يشتفُّ الضياعْ ،
عفت ضلَّ البيتِ
شغل البيت درعاً و قناعْ
و امحى وجهُ رفيق طيِّبٍ
في لَهبِي
وجه أمي
و ظلالُ الوعْر في وجه أبي
****

كنتُ في دربي
إلى جُرد المهاوي العاصفهْ
و بقايا الليلِ
مازالتْ ركاماً
في زوايا الأرصفهْ.
جبهةُ الرعد استحالتْ
لشعارْ
لِحروفٍ ، نُتفٍ صُفرٍ تهاوتْ
عن جدارٍ و جدارْ
و طالت سكرة الجوعِ
وأفنت شهوتي للزادِ
أفنت جسدي
و خُطى تمضي و تمضي
في ضياع أبديْ
كيف لي أن أجتلي
ما كنتُ في حال السُّرى
هل تحوَّلتُ إلى طيفٍ

يَرى ما لا يُرى ؟
ومضاتٌ ألهبت عينيِّ
و اجتاحت كياني
صهرتْ لفظاً ، حروفاً ، و معاني
و تجلَّتْ
جبهةً سمراءَ في وهج الذُري،
جبهة الرعدِ
تَجلَّت ملء عيني و يدي
و تمشَّتْ في خلايا جسدي
نشوةُ الأرض التي
رنَّحها رعدُ الربيعْ
و لماذا خلَّفتْ جرحاً ،
دويًّا فاحماً
لهباً أعمى ، التماعاتٍ تشيعْ
من صخور الجُرْدِ
في ليلِ الصقيعْ
ضاع في حَومتِها
وجهي و دربي
قلتُ علّي أحتمي
في بُرج قلبي
فالتقيتُ الجوع ملجوماً حزيناً
ينسج الخِصبَ
على أرض بوارْ :
إبرةٌ عاشت على الصبرِ
مشت طوع يدي
وشَّحتْ في غرفة النومِ
متاهات الحريرْ
روَّتِ الواحاتِ
بالأمطار و الصحوِ النَدِيْ
****

كنتُ في ليلِ
التشهِّي و النفارْ
أرتمي جنب رفيقٍ

طيِّب القلب، قريرْ
جسداً يغفو و يصحو ، يتلَّوى
في السريرْ و يعاني ما تعاني الأرضُ
زهواً مُوجِعاً
ينمو مع الزرع النضيرْ
في متاهات الحرير .
الأم و الرفيقُ
الأمُ :
ولدي ضيَّعتهُ ضيَّعتُ وحدي
دُرَّة الكونِ
وما يُجدي و يُجدي
ليت لي صوتاً يصيحْ
ليس عرساً و عريساً
ولدي ليس المسيحْ
و يدي ليت يدي تنبضُ
عُنقاً و تزيح
بهجةَ الورد و عطرهْ
العريس الغضُّ
بغفو اليومَ في هوَّة حُفرهْ
و الصبايا و أهازيجُ الصبايا
لا تعزِّي ، لا تطاقْ
ووجوهٌ زمهرتْ
حزناً و زهواً و احتراقْ
زبدٌ يرغي وفورهْ
بصري ، سَمْعي ، حواسيِّ
غوَّرت في رحمي
نبضةَ جمرهْ
ألرفيقُ :
كان مرسوماً على جبهتِه
وسمُ الضحايا
دمُه النار التي تُحييِّ
عروقاً يبست فيها الخطايا،
و حراماً أن يلَّبي

لِسرير العرس غصَّات الصبايا
أمُّهُ الأرض دعتهُ
لمصير يدَّعي من يصطفيهْ
الأمُّ :
كنتُ أمًّا أرضعتْ
ما حملت أحشاؤها العذراءُ
من صلب أبيهْ
ألرفيقُ : أنتِ أمٌّ ، أنتِ أمٌّ للرفاقْ
الأمُّ :
وحده ضيَّعتهُ ، ضيَّعتُ وحدي
درَّة الكونِ
و ما يُجدي و يجدي :
(أنتِ أمٌ ، أنتِ أمٌّ للرفاقْ)
كانَ يا ما كانَ،
و التعزية الحرَّى لها في كبدي
طعمُ النفاقْ .

ملخص :

يأتي هذا البحث الموسوم بـــ " كيمياء الخيال و إبداع الخياليِّ في الشعر (-الرعدُ الجريحُ-) قراءةٌ للخياليِّ و فق فاعليات كيمياء الخيال الثمانية وهي : العدم ،و الإمكـــان ،و الاختلاف ، والتفاعل والصهر ، و المزج ، و التحويل ، وصولاً إلى التشكيل .

و بفعل هذه الفاعليات الكيميائية وُجد الخياليُّ الرعدُ الجريحُ بِدْعاً لا مثال له إلاَّ هو ذاته ، ولا وجود له إلاَّ في الذهن : ذهن المنشئ ، و ذهن المتلقي .

Ressemé :

Cette recherche qui se nomme « La chimie du L'imagination et La créativité de L'imaginaire dans la poème (- raad garih-) provient d' une lecture imaginative selon les huit activité chimiques de L'imagination qui sont :le Néant , la possibilité ,la différence , la fusion, le mélange , la transformation ,et la confirmation.

Grace à ces activités chimiques, l'imaginaire a trouve' une créativité unique et hors normes qui n'existe que dans lui – même, dans l'imagination : l'imagination du l'auteur et de lecteur (récepteur).